الدكتور
عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد

الطب

ورائداته المسلمات

مكتبة المنار
الأردن - الزرقاء

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م



مكتبة المنار

شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي

هاتف ٩٨٣٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢ الزرقاء - الأردن

الطب

ورائداته المسلمات

تأليف

الدكتور عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد

مكتبة المنار

الأردن - الزرقاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا
مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ
أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

(سورة الشعراء)

الإهـــداء

إلى الروح الطيبة الطاهرة المطمئنة
روح والدتي
وإلى التي شحذت عزيمتي وأمدتني بالثبات والطموح
لزوجتي العزيزة
وإلى التي تسهر لحفظ الصحة حاصلة
وتستردها زائلة
للطبيبة المؤمنة
أهدي كتابي هذا

عبدالله

المقـــدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين، الذي أرسله الله سبحانه وتعالى سراجاً منيراً، وهادياً ونذيراً، وداعياً وبشيراً كافة للعالمين، فأنار السبيل لهم أجمعين، وأمرهم بطلب العلم من المهد إلى اللحد حتى ولو في الصين.

لم يفرق الدين الإسلامي بين الذكـر والأنثى في طلب العلم. ولقد ألقى الإسلام أمانة هذا الدين الحنيف على الرجل والمرأة على السواء وكل منهم مسؤول عن تصحيح عقيدته وأخلاقه، وله الحق في التعليم، وطلب العلم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه، والمرأة داخلة في هذا التعميم كما يقول الفقهاء.

لقد أسس الإسلام أسمى حضارة عرفها التاريخ بفضل رائده العظيم، رسول العالمين محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحابته الذين بفضلهم شادوا صرحاً عظيماً، ومجداً تليداً، وحضارة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً آثرت على الحضارة العالمية.

ولقد كانت الحضارة الإسلامية شاملة ومتنوعة لعبت دوراً هاماً في رقيّ

العالم وبناء المدنية علمياً وأدبياً وعقائدياً ولغوياً واجتماعياً.

فهاكم في علم الفلسفة نبغ محمد بن باجه وابن رشد وابن طفيل وفي التاريخ، ابن خلدون، والرازي، وابن الأثير، والطبري وفي الجغرافيا الإدريسي، وابن جبير، وابن بطوطة. وفي الرياضيات الحسن بن الهيثم وابن سينا والخوارزمي. أما في الطب فيقول الأستاذ **قدري طوقان** في كتابه (العلوم عند العرب) ص ١١ (.. وفي الطب ثبت أن للعرب فضل كبير في إنقاذه من الضياع... ويرى **كمستون** أنه لو لم يكن للعرب غير هذا الفضل في الإنقاذ لكفاهم خدمة وفخراً...).

لقد كان ابن سينا من الأطباء النابغين وكتابه «القانون في الطب» كان الكتاب المعتمد في الطب في جامعات أوروبا قروناً عديدة وهو أوّل من وصف التهاب السحايا، وفرّق بين أسباب شلل الوجه ووصف أعراض حصى المثانة.... إلخ.

أما أبو بكر الرازي له اكتشافات عديدة في ميدان الطب في مختلف فروعه وكان طبيباً سريرياً ماهراً يراقب تطور المرض وعلاماته وأعراضه ومن كتبه الموسوعة الطبية الضخمة كتابه (الحاوي) وله كتب أخرى عديدة.

أما الطبيب الجراح أبو القاسم الزهراوي الأندلسي الذي يكنى بالأنصاري، فتقول عنه الدكتوره **زيغريد هونكه** في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) ص ٢٧٧ - ٢٧٩: (... الجراح الأندلسي الكبير قد أدخل تجديدات ليس على علم الجراحة فحسب بل أيضاً في مداواة الجروح وفي تفتيت الحصاة داخل المثانة وفي التشريح وإجراء العمليات واهتم أيضاً بالطب العام...).

وإليكم كلمات تنطق بأعمال الرازي على سبيل المثال لا الحصر:

١ - (الرازي) أبو بكر محمد بن زكريا Razes... لقّب بـ (جالينوس العرب)

أو (طبيب المسلمين)[1].

٢ ـ (الرازي.... طبيب وكيميائي وفيلسوف مسلم... ألّف كثيراً من الرسائل في شتى الأمراض... كما ألّف كتباً طبية مطولة.. أول من ابتكر خيوط الجراحة، وصنع مراهم الزئبق وأجرى بحوثاً على حمض الزاج والكحول... أنكر الإسراف في الزهد)[2].

٣ ـ (أحد أعظم أطباء الإنسانية إطلاقاً..)[3].

٤ ـ (اعترف الباريسيون بقيمته... فأقاموا له نصباً في باحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب... وعلقوا صورته)[4].

٥ ـ (... (أمير الأطباء) و(أبوقراط العرب) و(منقذ المؤمنين)[5].

٦ ـ (كان الرازي أول طبيب عربي يعمد إلى تدوين مشاهداته السريرية)[6].

٧ ـ (... وأصبح طبيباً عظيم الشأن وصديق الملوك والأمراء وحبيب الشعب وأباً للفقراء كان يهبهم بعد العلاج مالاً...)[7].

٨ ـ (الرازي الطبيب والكيماوي والفيلسوف العربي الشهير)[8].

٩ ـ (.. والرازي كان أول من وصف الفرع الحنجري للعصب الحنجري العائد وقال عنه إنه يكون مزدوجاً من الجهة اليمنى أحيانا..)[9].

---

(١) المنجد في الأعلام ـ دار المشرق ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ص ٢٣٢.
(٢) الموسوعة العربية الميسرة ـ الطبعة الثانية ـ ص ٨٥٢.
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٤٣ ـ الطبعة الثانية ١٩٦٩ ـ تأليف الدكتوره الألمانية زيغريد هونكه.
(٤) المصدر السابق ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.
(٥) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٤٦.
(٦) المصدر السابق ص ٣٤٤.
(٧) المصدر السابق ص ٢٤٦.
(٨) المصدر السابق ص ٣٤٤.
(٩) الطب العربي تأليف الأستاذ الدكتور أمين أسعد خير الله ص ١٦٩.

وقد كان الأطباء العرب يحثون طلبة الطب إلى الذهاب للمستشفيات ليتداولوا أمور المرضى ويهتموا بملاحظاتهم عن كثب وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب ـ ابن النفيس[1]: (ومما يدل على اهتمام المجوسي بملاحظة المرضى، ومما ينبغي لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازماً للبيمارستانات ومواضع المرضى، كثير المداولة لأمورهم. . . إلخ).

ولقد نبغ العرب في شتى فروع الطب كالجراحة مثل الزهراوي وابن زهر الأشبيلي الذي وصف خراج الحيزوم وصفاً مفصلاً في كتابه التيسير ووصف وجرّب بنفسه عملية شق الحنجرة واستخراج الحصى من الكلى.

وكذلك نبغ العرب في الأمراض الباطنية والنسوية والتوليد وفي طب وجراحة الفم والأسنان.

وجاء في كتاب (العلوم في الإسلام)[2]: (وفيما يتصل بالجراحة أيضاً لا بدّ أن نذكر شيئاً عن جراحة الفم والأسنان بصفة عامة. فالأطباء المسلمون كانوا يجرون العمليات المختلفة على الفم كما يعالجون الأسنان ذاتها، فعلاوة على ما يسدونه من نصائح مختلفة للمحافظة على سلامة الأسنان فقد كانوا يعالجون أمراض الأسنان. بل إنهم توصلوا إلى صنع الأسنان الصناعية من عظام الحيوانات لبعض مرضاهم. . .) ويستطرد ويقول المؤلف[3]: (. . وقد تقدمت صناعة الأدوات الجراحية العديدة وبصفة خاصة المشارط بأنواعها. . . وقد بقي بعضها مستعملاً بدون تغيير نسبياً على مر العصور. . . وجل الأدوات الجراحية ترجع إلى ما وصفه الجراح الأندلسي أبو القاسم الزهراوي في مؤلفه (كتاب التصريف) الذي يعد ذروة الجراحة في الإسلام).

---

(١) تأليف الدكتور بول غليونجي ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ص ٦١.
(٢) دار الجنوب للنشر ـ تونس ١٣٩٩ ـ ١٩٧٨ ـ تأليف سيد حسين نصر ص ١٤٥.
(٣) المصدر السابق ص ١٤٥.

وقد جاء في كتاب (أعلام العرب والمسلمين في الطب)[1]: (ولم يقتصر النبوغ في حقل الطب على الرجال، بل كان للنساء دور كبير فقد نبغ عدد ليس بالقليل كأم عطية الأنصارية...)، (وكانت أم عطية الأنصارية مشهورة كطبيبة في الجاهلية ولكنها دخلت في الإسلام فغزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتداوي الجرحى، ونالت شهرة عظيمة في الجاهلية والإسلام بالجراحة).

والشَفّاء بنت عبدالله (اشتهرت بالطب وبمعالجتها لمرض جلدي من نوع الأكزيما Eczema وهي قروح تظهر في الجنبين ويحسّ المريض كأنّ نملة تدب عليه وتعضه).

ورُفيدة (اشتهرت بالجراحة اختارها الرسول صلى الله عليه وسلم لعلاج سعد بن معاذ عندما أصيب برمية في معركة الخندق).

وأخت الحفيد بن زهر وابنتاها (اللتان نبغتا في طب أمراض النساء).

وجاء في كتاب (معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية)[2]: (... ويقول **سيديلوت** في كتابه تاريخ العرب: (كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون... وقد نشروها أينما حلّت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوروبة فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها)... ... ونقل عن الأستاذ **ليبري** قوله [... لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبة الحديثة عدة قرون]... ويقول **شريستي** في حديثه عن الفن الإسلامي: ظلت أوروبة نحو ألف سنة تنظر إلى الفن الإسلامي كأنه أعجوبة من الأعاجيب)... ويقول **لين بول**

(١) تأليف الدكتور علي عبدالله الدّفاع - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
(٢) تأليف عبدالله علوان - دار السلام للنشر والتوزيع - ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م - الطبعة الأولى - ص ١١٣ - ١١٧.

في كتابه العرب في إسبانيا: (... فكانت أوروبا الأمية تزخر بالجهل والحرمان، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم وراية الثقافة في العالم).

وقد جاء أيضاً في المصدر السابق (معالم الحضارة في الإسلام...) ... ويقول بيفولت في كتابه «تكوين الإنسانية» (العلم هو أعظم ما قدمت الحضارة العربية إلى العالم الحديث ومع أنه لا توجد ناحية واحدة من نواحي النمو الأوروبي إلا ويلحظ فيها أثر الثقافة الإسلامية النافذة، ألا وأن أعظم أثر وأخطره هو ذلك الذي أوجد القوة التي تؤلف العامل البارز الدائم في العالم الحديث والمصدر الأعلى لانتصاره أعني العلم الطبيعي، والروح العلمية... وهذه الحقائق مؤدّاها أن الإسلام دين بناء حضاري...) ... ويقول إلياس أبو شبكة في كتابه روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة: (إن زوال الحضارة العربية كان شؤما على إسبانيا وأوروبا فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخصب...) ... ويقول لوبون في كتابه «حضارة العرب» (.. بينما كانت هذه حال أوروبا كانت المكتبات في الأندلس تضم مئات الآلاف من الكتب من مختلف حقول المعرفة الإنسانية...).

الفصل الأول

المرأة المسلمة والعلم

لقد حث الإسلام على العلم فكانت أوّل كلمة في أوّل آية في أوّل سورة من القرآن الكريم تحضّ على القراءة التي هي الأداة الفعّالة للعلم والتعلم والتعليم.

فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم﴾(١).

وهنالك العديد من الآيات الكريمة التي تحضّ على طلب العلم ومنها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾(٢).

علاوة على ذلك فهنالك أحاديث عديدة تحث على طلب العلم ومنها: (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) رواه الترمذي. وقال عليه الصلاة والسلام (من سلك طريقاً يلتمس فيها علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنّة) رواه مسلم. وقال صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجة. ويقول الفقهاء أن المرأة داخلة في هذا التعميم، لأن كلمة مسلم يقصد بها الرجل والمرأة على السواء. أي كل من اتصف

---

(١) العلق ١ ـ ٥.

(٢) طه: ١١٤.

بالإسلام سواء كان ذكراً أم أنثى.

وبهذا الصدد يقول الدكتور محمد الصادق عفيفي الأستاذ بجامعة البترول والمعادن بالمملكة العربية السعودية والذي كان أستاذاً في كل من جامعة القاهرة والرباط والجزائر وصنعاء[1]: .. بل بلغ من حرص الشُرّاح والرواة على مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة أن أضافوا من عند أنفسهم إلى متن الحديث (... ومسلمة) (انظر المقاصد للسخاوي: ٢٧٧) وذلك جرياً مع القاعدة العامة التي كشف عنها الرسول صلى الله عيه وسلم في حديث آخر فقال: (أيّما رجل كانت عنده وليدة (أي جارية) فعلمها، فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها فله أجران، أجر تحرير العقل وأجر تحرير الجسم. وعلى هذا الأساس يسوّي الإسلام بين الاثنين في حق التعليم والتثقيف...). وهاكم زينب طبيبة بني أود تعتبر من رائدات الطب العربي والإسلامي ومع ذلك يتهم البعض المرأة العربية وخصوصاً المسلمة بأنها مسلوبة الإرادة، لا حرية ولا رأي لها، وتعيش بمعزل عن المجتمع وكأنها عضو غير فعّال فيه، تحب الترف واللهو، والراحة.

إن كل ما قيل عن المرأة العربية المسلمة بغرض الطعن في ثقافتها وحريتها وعزلها عن المجتمع إنما هو محض افتراء واختلاق وزور وبهتان.

لقد كانت المرأة العربية المسلمة عضواً عاملاً وفعّالاً في المجتمع، عالية المكانة، رفيعة المقام، معتدة بكرامتها ونفسها وشخصيتها ورأيها. وليس كما يقول بعض الحاقدين الجهلة انها متاع وليس غير ذلك.

إن الإسلام نادى بحقوق المرأة ومحاربة العداء لها. والاستماع لرأيها. وأوضح دليل على ذلك وعلى حرية المرأة المسلمة في التفكير وإبداء الرأي عندما إحدى النسوة عارضت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) في كتابه (المرأة وحقوقها في الإسلام) ص ٨١ ـ ٨٢.

وكان في خطبة له يحث على عدم المغالاة في المهور فنهضت امرأة وقالت له: كيف تدعو إلى هذا يا عمر والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً * وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾[1]. فقال عمر: (أصابت امرأة وأخطأ عمر).

ألم تكن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم قد: (صدقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره... تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس..)[2]. (وكانت له وزير صدْق على الإسلام يشكو إليها)[3]. (وهي التي آزرته على النبوة، وجاهدت معه وواسته بنفسها ومالها وأرسل الله إليها السلام مع جبرائيل، وهذه خاصة لا تعرف لامرأة سواها)[4].

والإسلام أعطى المرأة الرأي الصريح والنهائي الذي يعتمد عليه في اختيار زوجها الذي ستعيش معه طيلة حياتها. والإسلام جعل من المرأة عالمة فقيهة يشار لها بالبنان.

ألم تكن عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه زوج النبي صلى الله عليه وسلم: (أفقه نسائه وأعلمهن بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق وكان الأكابر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرجعون إلى قولها ويستفتونها)[5]. وقال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم: (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء).

---

(١) النساء: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام. ص (٢٥٧) الجزء الأول

(٣) المصدر السابق الجزء الثاني ص ٥٧.

(٤) منتقى النقول في سيرة أعظم رسول ـ تأليف الأستاذ حامد محمود بن محمد بن منصور ليمور ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. (ص ٤٣٦).

(٥) منتقى النقول ص ٤٣٧.

والإسلام لم يأمر أن تعيش المرأة بمعزل عن المجتمع بل جعلها سبّاقة لميادين العمل في المجتمع وقد قال صلى الله عليه وسلم: (. . . المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها).

والإسلام أمر بالحجاب لأمهات المؤمنين لأنهن (لسن كأحد من النساء) أما المؤمنات يضربن بخمرهن ولا يبدين زينتهن إلا لرجالهن لدرء الفاحشة وبهذا الصدد يقول أنور الرفاعي في كتابه[1]: (. . . أما الحجاب بمعنى عزل النساء عن المجتمع ومنعهن من مخالطة الرجل فإنه لم يكن موجوداً في الجاهلية ولا عرفه العرب خلال عهد الراشدين وأوّل ظاهرة من هذا النوع ظهرت على يد أمير مكة (خالد القسري) في خلافة سليمان بن عبد الملك فقد فرّق بين الرجال والنساء في الطواف حول الكعبة وقد اقتبس العرب هذه العادة عن الفرس وتفشت بين المسلمين في أواخر العهد الأموي. . .).

ومع ذلك فقد كان ستر الوجه موجود عند الرومان واليونان والغرب في العصور الوسطى وفي الجاهلية كان الخمار الذي يستر الوجه حينذاك.

ويقول الأستاذ عبد المتعال محمد الجبري في كتابه[2]: (. . . لو كان كشف الوجه حراماً في الأصل لما أُحلَّ في الإحرام بالحج فإن الحج زيادة في الطاعة والعفاف لدرجة أنه يبطل في اثناءه عقد النكاح لمن أراد الزواج وهو محرم، وحرمت على المحرم المعاشرة الزوجية المباحة في الأصل، وليس الحج مجالاً من المحرمات ومبيحاً للمثيرات. . . وقد اتفق العلماء على أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها ـ ولو لم يكن في ذاته عورة ـ عند خوف فتنة الناظرين إليها إن كانوا فساقاً أو كانت رائعة الجمال أو كانت متجملة بزينة. . .).

إن الإسلام وضع بعض قيود على لباس المرأة وزينتها وحديثها في

(١) الإسلام في حضارته ونظمه ص ٢٧٨.

(٢) المرأة في التصور الإسلامي ـ مكتبة وهبه ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ـ ص ٢٦ ـ ٢٧.

حالات معينة وظروف خاصة وذلك حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض ولدرء فتنة الناظرين إليها ولمنع الفاحشة وبذلك أراد الإسلام الخير والصلاح للمجتمع الإنساني وإبعاده عن الشهوات الحيوانية. . . لقد أمر الإسلام ألا تظهر المرأة من زينتها وجسدها إلا ما بدا من ظهوره وهما الوجه والكفان ويسترن الرؤوس والاعناق والصدور كيلا تظهر مفاتنها فتتأجج نار الفتنة في صدور الفاسقين. ولكن لها أن تظهر محاسنها في حضرة زوجها وبهذا الصدد جاء في تفسير الجلالين في سورة النور آية ٣٠ ـ ٣١: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ عما لا يحل لهم نظره ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما لا يحل لهم فعله بها. . . ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ عما لا يحل لهن نظره ﴿ويحفظن فروجهن﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿ولا يبدين﴾ يظهرن ﴿زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة ورجح حسماً للباب ﴿وليضربن بخُمُرِهنّ على جيوبهن﴾ أي يسترن الرؤوس والاعناق والصدور بالمقانع ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين ﴿إلا لبعولتهن﴾ جمع بعل أي زوج ﴿أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهم﴾ فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الازواج. وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن ﴿أو التابعين غير أولي الإربة﴾اصحاب الحاجة إلى النساء ﴿من الرجال﴾ ﴿أو الطفل﴾ بمعنى الأطفال ﴿الذين لم يظهروا﴾ يطلعوا ﴿على عورات النساء﴾ للجماع فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ من خلخال يتقعقع. . .

فالإسلام شرع ذلك لصالح البشرية ولمنفعة الناس وإبعاد الشر وجلب الخير والفلاح والرشد والصلاح وليس لعزل المسلمات عن المجتمع الإنساني

فأين عزل النساء عن المجتمع وهاكم أم المؤمنين خديجة كانت ساعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيمن في بث ونشر تعاليم الإسلام. والتي قال عنها الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمتني النساء...) فكانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن بالله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وآزره على أمره. وكانت خديجة تاجرة غنية تستأجر الرجال ليتاجروا لها بمالها.

وهاكم العديد من المسلمات مارسن صناعة الطب في صدر الإسلام ومنهن رفيدة وأم سليم وأم سنان وأمينة بنت قيس الغفارية وكعيبة بنت سعد الأسلمية والشفاء بنت عبدالله وفي عصر الأمويين مارست الطب زينب طبيبة بني أود وفي الأندلس أخت الحفيد بن زهر وابنتاه وابنتاها اللواتي اشتهرن بأمراض النساء والولادة. وبنت دهن اللوز الدمشقية طبيبة ماهرة (ودهن اللوز من شيخات وعالمات دمشق توفيت بها في ربيع الآخر سنة ٦١٤هـ)[1].

وهاكم الخنساء تماضر بنت عمرو بن الحارث من أعظم شاعرات العرب وكانت تحرض اولادها الأربعة وتشجعهم على القتال في معركة القادسية (٦٣٧م) وعندما قتلوا الأربعة قالت قولها المأثور: (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم).

وهاكم خُناس بنت مالك بن المضرب خرجت غازية إلى غزوة أحد.

وخولة بنت ثعلبة من ربات الفصاحة والبلاغة وكانت تجادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مواقف عديدة وقالت له يوماً (... اتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي الفوت...).

(١) أعلام النساء ج١/ ص ٤٢٠ مؤسسة الرسالة.

وأم الخير بنت الحُرَيْش البارقية من ربات الفصاحة والبلاغة والتي قالت للخليفة معاوية بن أبي سفيان (مه يا هذا فإن بديهة السلطان مدحضة لما يجب علمه قال: صدقت يا خالة...). وقال معاوية: والله يا أم الخير ما أردت بهذا إلا قتلي والله لو قتلتك ما حَرِجْت في ذلك. قالت والله ما يسؤني يا ابن هند أن يجري الله ذلك على يد من يسعدني الله بشقائه. قال هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان بن عفان؟ قالت: وما عسيت أن أقول فيه استخلفه الناس وهم كارهون وقتلوه وهم راضون... قال فما تقولين في الزبير؟... قالت: وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ولقد كان سباقاً إلى كل مكرمة في الإسلام...).

وهاكم غزالة زوجة شبيب بن يزيد من ربات الفروسية والشجاعة والفصاحة والزهد والنسك وكانت تشترك مع زوجها في الحروب (.. أمير الخوارج) وقاتلت الحجاج في حروب عديدة وهرب منها في بعض الوقائع فعيّره بعضهم بقوله:

أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

فأين عزل النساء المسلمات عن المجتمع ومنهن غزالة وأمثالها العديد.

وهاكم الشاعرة الفذة ليلى بنت عبدالله الأَخْيلية شاعرة من شواعر العرب كان توبة بن الحمير يهواها فكان يقول فيها الشعر فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوّجها في بني الأدلع. ويوماً سألها معاوية بن أبي سفيان فأجادت بالإجابة من فصيح الكلام والشعر فأمر لها بجائزة عظيمة.

وفي مرة من المرات جاءت الحجاج فقال لجلسائه: أتدرون من هذه؟

قالوا: لا والله ما رأينا امرأة أفصح ولا أبلغ ولا أحسن إنشاداً. قال: هذه ليلى صاحبة توبة.

واختلف ايتهما أشعر: الخنساء أم ليلى. فقال الأصمعي: إن ليلى أشعر من الخنساء... وقال أبو زيد: ليلى أكثر تصرفاً وأغزر بحراً وأقوى لفظاً... وفضلت ليلى على النابغة الجعدي. وهاكم سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب حفيدة النبي صلى الله عليه وسلم كانت دارها معهداً علمياً وملتقى الأدباء والشعراء وكانت أديبة متبحرة بعلمها وأدبها ويقول عنها عمر رضا كحالة في كتابه[1]: (سيدة جليلة ذات نبل ومقام رفيع كانت تجالس الأجلة من قريش. ويجتمع إليها الشعراء والأدباء فيحتكمون إليها فيما أنتجته قرائحهم فتبين لهم الغث من السمين وتناقش المخطىء مناقشة علمية فيقنع بخطئه ويقر لها بالفضل وقوة الحجة وسعة الاطلاع... قالت يا فرزدق من أشعر الناس؟ قال أنا. قالت: كذبت جرير أشعر منك... وقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي عليك حقاً عظيماً ضربت إليك من مكة إرادة التسليم عليك فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردي وتفضيل جرير عليّ... وحجت سكينة وتزوجت عدة أزواج منهم عبدالله بن الحسن بن علي وهو ابن عمها ومصعب ابن الزبير وعبدالله بن عثمان وزيد بن عمرو والأصبغ بن عبد العزيز ولم يدخل بها وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها).

وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمية. أمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت أديبة ودارها مفتوحة لسادات قريش وللأدباء. وهي: (من أندر نساء عصرها حسناً وجمالاً وهيأة ومتانة وعفة وأدباً كانت لا تحتجب من الرجال فتجلس وتأذن لهم بالدخول عليها... كما يأذن

---

(١) أعلام النساء ج٢/ ص ٢٠٢ ـ ٢٢٤.

الرجل فعاتبها مصعب في ذلك فقالت: إن الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم فما كنت لأستره ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد. . . وقال أنس بن مالك لعائشة بنت طلحة: إن القوم يريدون أن يدخلوا إليك فينظروا إلى حسنك؟ قالت أفلا قلت لي فألبس ثيابي وكانت من أحسن الناس وجهاً في زمنها. ورآها أبو هريرة فقال: سبحان الله كأنها من الحور العين. . وتزوجت عائشة عبدالله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق وبعد وفاته تزوجها مصعب بن الزبير وبعد مقتله تزوجت عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وقد حجت عائشة ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج بأمر من الوليد بن عبد الملك[١].

وشهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الدنيورية. يقول عنها عمر رضا كحالة في كتابه[٢] (شهدة. . . عالمة فاضلة وكاتبة مجيدة ذات دين وصلاح وبر وإحسان ولدت ببغداد من أكابر علماء عصرها وتوفيت في بغداد يوم الأحد في ١٣ المحرم سنة ٥٧٤. . .).

وقد جاء في كتاب الإسلام في حضارته ونظمه[٣]: (شهدة الكاتبة التي برزت في القرن السادس وكانت تحاضر في بغداد بالتاريخ والشعر ومعاصرتها أم المؤيد زينب وهي من أشهر الفقهاء وتقية بنت أبي الفرج الشاعرة المحدثة في عصر صلاح الدين الأيوبي)[٤]. ويقول نفس المصدر والصفحة (زبيدة زوج الرشيد. . كانت عالمة وأديبة وذات نفوذ وتبتكر مع علية بنت المهدي البدع (المودة) للنساء). والخيزران بنت عطاء: (من ربات السياسة والنفوذ والسلطان لعبت دوراً عظيماً في خلافة ولدها الهادي)[٥] وهنالك الكثير من

(١) أعلام النساء ـ عمر رضا كحالة ـ جزء ٣/ص ١٣٧ ـ ١٥٥.
(٢) أعلام النساء ج٢/ ص ٣٠٩ ـ ٣١٢.
(٣) تأليف أنور الرفاعي ـ دار الفكر ـ ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ.
(٤) نفس المصدر، ص ٢٧٨.
(٥) أعلام النساء تأليف عمر رضا كحالة ج١ ص ٣٩٥ ـ ٤٠١.

النساء المسلمات ذوات النفوذ والأدب والشعر والفروسية والعلم من طب وغيره. أما كتاب الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب[1]، قد جاء فيه (. . . مارست نساء العرب فن التمريض في مختلف العصور. . .).

علاوة على فن التمريض فقد كانت المرأة العربية في الجاهلية تقوم في العمليات الجراحية مثل ختان الأولاد فقد جاء بهذا الصدد في كتاب (الأمراض النسوية في التاريخ القديم واخبارها في العراق الحديث) تأليف الأستاذ الدكتور كمال السامرائي ـ الأستاذ ورئيس قسم الأمراض النسائية والتوليد في كلية طب جامعة بغداد ـ جاء في ص ٣٣ : (وكان ختان الصبيان مألوفاً قبل الإسلام ويروى أن الصحابية الجليلة أم عطية الأنصارية ظلت تمارس هذه العملية بعلم من النبي محمد وأنه صلوات الله عليه وسلام قدم لها النصح في هذا)[2].

فأين عزل المسلمات عن المجتمع وهاكم أمّ المؤمنين زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصحبه في غزواته مع الصحابية الجليلة أمّ سليم. (تنقزان القرب على متونها، تفرغان الماء في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها) فلقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: (لقد رأيت عائشة وأمّ سُلَيم وإنهما لمشمرتان تنقزان[3] القرب على متونها، تفرغان الماء في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم).

وتلكم الصحابية الجليلة المسلمة التي قامت على تمريض جرحى المسلمين في خيمة نصبت لها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة أثناء غزوة الخندق فكانت تلك الخيمة أوّل مستشفى ميداني عسكري

---

(١) تأليف مجموعة من الأطباء والكتاب المعاصرين العرب بإشراف الدكتور محمد كامل حسين، ص ٢٣٤.

(٢) ابن الأخوة ـ معالم القربة في احكام الحسبة (كمبرج) ص ١٦٤.

(٣) تنقزان: تقفزان من سرعة السير.

في الإسلام ورفيدة الأسلمية كانت المشرفة عليه فاعتبرت بذلك أوّل ممرضة للميدان ولقد قامت على تمريض سيّد الأوس الأنصاري سعد بن مُعاذ والإشراف عليه في ذلك المستشفى عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعُوده من قريب) وكان سعد بن معاذ قد أصيب بسهم رماه حِبّان بن قيس ابن العَرِقة فقطع من سعد الأكحل وهو عرق في الذراع. وبذلك: (رفيدة اعتبرت أول ممرضة للميدان في الإسلام)[1].

وهاكم أم عطية الأنصارية قالت: (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى)[2]. وكانت تقوم بعمليات ختان الصبيان ونالت شهرة عظيمة في الجراحة.

وأين عزل النساء عن المجتمع وهاكم الطبيبة زينب تعالج رجالاً من رمد أصاب عيونهم وقد أطلق العرب على الذين يشتغلون في طب العيون الكحالة وكانت زينب طبيبة عيون تكحلها أي تعالجها. فقد ذكر ابن أبي أصيبعة الطبيب المؤرخ في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ١٨١ (... قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني الكبير: أخبرنا محمد بن خلف المرزبان قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن كناسة عن أبيه عن جده قال: أتيت إمرأة من بني أود لتكحلني من رمد كان قد أصابني فكحلتني...).

وجاء في كتاب أعلام العَرب والمسلمين في الطب[3]: (ولم يقتصر النبوغ في حقل الطب على الرجال، بل كان للنساء دور كبير، فقد نبغ عدد

(١) الموسوعة العربية الميسرة الطبعة الثانية ١٩٧٢ص ٨٧٣.
(٢) رواه الإمام مسلم عن أم عطية الأنصارية ج ٢/ ص ١١٨.
(٣) بقلم الدكتور علي عبدالله الدّفاع ص ٢٤ وهامشها.

ليس بالقليل كأم عطية الأنصارية... ونالت شهرة عظيمة في الجاهلية والإسلام بالجراحة وكانت جراحة ماهرة للغاية).

وأم الحسن بنت القاضي أحمد الطنجالي نبغت في العلوم الطبية وكانت لها منزلة عظيمة في صناعته.

علاوة على ذلك فلقد لعبت المرأة المسلمة دوراً هاماً في طب الأمراض النسوية والتوليد وذلك كما يقول ابن خلدون في مقدمته الشهيرة[1]: (صناعة التوليد صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه... وهي مختصة بالنساء في غالب الأمر لما انهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسّمى القائمة على ذلك منهن القابلة...).

ويقول الطبيب الجراح أبو القاسم بن عباس الزهراوي ٣٣٤ ـ ٤٠٤هـ / ٩٣٦ ـ ١٠١٣م، في كتابه[2]: (... ينبغي أن تتخذ طبيبة محسنة وقليلاً ما توجد، فإن عدمتها فاطلب طبيباً عفيفاً... وتحضر قابلة محسنة في أمر النساء... وتأمرها أن تصنع جميع ما تأمرها به من التفتيش عن الحصاة...).

ويستطرد ويقول الزهراوي في المصدر السابق في المقالة الثلاثين ـ الفصل الرابع والسبعين (... الفصل الرابع والسبعون في تعليم القوابل كيف يعالجن الأجنة إذا خرجوا على غير الشكل الطبيعي...).

من ذلك نرى أن الزهراوي كان يعلم النساء فن التوليد والأمراض النسوية.

وإليكم ما يقوله علي بن عباس عن توليد جنين ميت كما ذكر ذلك

(١) دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٨ ص ٤١٢.
(٢) التصريف لمن عجز عن التأليف في المقالة الثلاثين الباب الثاني في الفصل الستين في إخراج الحصا للنساء.

الأستاذ الدكتور أمين أسعد خير الله في كتابه (الطب العربي) نقلاً عن كتاب علي بن عباس (كامل الصناعة الطبية) جزء ٢ وجه ٤٨٩: (. . . ينبغي أن تقدم إلى علاجها بأن تأمر القابلة أن تلقيها على ظهرها فوق سرير. . . ثم تفتح بعض النساء فم الرحم ورقبته. . . وأنه ينبغي أن تدخل السنارات التي يخرج بها الجنين وتغرزها في عينيه أو في فيه. . . ثم إن القابلة تمدّ السنّارات. . .).

وهاكم أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٤٠ ـ ٣٢٠ هـ / ٨٥٤ ـ ٩٣٢م) يقول في كتابه[1]: (. . . قل للقابلة تجس عنق الرحم فإن كان منضماً بلا صلابة دل على حبل. . .).

ويقول الأستاذ الدكتور كمال السامرائي، رئيس قسم الأمراض النسائية والتوليد في كلية طب جامعة بغداد في كتابه[2]: (. . . ويفهم من كتابات الرازي أنه لم يكن يفحص بنفسه على الأعضاء الأنثوية في المرأة لأسباب تقليدية أو نفسية وأنه كان يسأل القابلة أن تفحص عليها بعد أن يرشدها إلى طريقة الفحص والهدف منه. . .).

مما تقدم نرى أن المرأة المسلمة شاركت الرجل في ميدان الطب الذي هو علم وفن يبحث في الوقاية من الأمراض وعلاجها وبهذا الصدد يقول الشيخ الرئيس والفيلسوف الطبيب أبو علي الحسين بن علي بن سينا ٣٧١ ـ ٤٢٨ هـ / ٩٨٠ ـ ١٠٣٦م يقول: (. . . الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الانسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة)[3].

كانت المرأة المسلمة تزاول مهنة الطب بينها قديماً لم تعرف أن أية امرأة

(١) الحاوي الجزء التاسع.
(٢) الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث ص ٤٤.
(٣) القانون في الطب ـ دار صادر ـ بيروت ـ الجزء الأول ص ٣.

زاولت تلك المهنة وبهذا الصدد يقول الأستاذ الدكتور كمال السامرائي رئيس قسم الأمراض النسائية والتوليد في كلية طب بغداد في كتابه[1]: (... لم تعرف امرأة طبيبة تعمل في هذا الاختصاص في ما بين النهرين أو مصر أما في الهند فقد عرفت في أواخر حضارة وادي السند (الألف سنة ق. م) طبيبة باسم (روسي) كانت تعمل في الأمراض النسائية والولادة كما كانت تعمل في طب التجميل أيضاً).

أما في ص ١٦ ـ ١٧ جاء في المصدر السابق: (... وقد عرف أن أم سقراط المتوفى ٣٩٩ ق. م كانت قابلة ذائعة الاسم في صنعة القبالة...).

إن المرأة المسلمة اشتركت اشتراكاً فعلياً مع الرجل في الطب وليس كما يتهمها المغرضون بأنها متاع يركن في البيوت، فشقيقة الحفيد بن زهر وبناتها كن نابغات في طب الأطفال والأمراض النسوية ولم يسمح الملك المنصور لأي شخص بمعالجة حرمه غيرهنّ.

علاوة على ذلك كانت النساء المسلمات وأمهات المؤمنين نساء الرسول صلوات الله عليه وسلامه يرافقنه في غزواته ليقمن بتمريض جراحاتهم.

وكان الطبيب المسلم يتحلى بالأخلاق الطيبة والتقوى وبهذا الصدد يقول الطبيب يعقوب بن إسحاق الكندي نقلاً عن كتاب السلوك المهني للأطباء[2]: (ليتق الله تعالى المطبب، ولا يخاطر فليس عن الأنفس عوض...) وإليكم ما يوصي به الشيخ الرئيس ابن سينا لصديقه أبو سعيد ابن أبي الخير الصوفي نقلاً عن كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء[3] (ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره، وباطن كل اعتبار وظاهره، ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه وقدمها موقوفة على المثول بين يديه، مسافراً بعقله

(١) الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث ص ١٢.
(٢) تأليف الحكيم راجي عباس التكريتي ـ الطبعة الثانية ص ١٤١.
(٣) لابن أبي أصيبعة الطبيب المؤرخ ص ٤٤٥.

في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى... ومعرفة الله أوّل الأوائل، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه..) وفي ص ٤٤٦ من المصدر السابق يقول ابن سينا (... وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة، وأمثل السكنات الصيام، وأنفع البر الصدقة، وأزكى السر الاحتمال، وأبطل السهي المراءاة ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت إلى قيل وقال، ومناقشة وجدال، وانفعلت بحال من الأحوال...).

الفصل الثاني
تعريف الطب

الطب فن، وعلم، ورسالة نبيلة سامية تبحث في حفظ الصحة على الأصحاء واستردادها لهم في حالة أمراضهم.

الطب فن يحتاج إلى ممارسة.

والطب علم يتطلب دراسة.

والطب رسالة يجب أن يقدمها حاملها إلى من يحتاج لها، مهما تكن الظروف، دون قيود أو شروط تمسّ بمنزلة الطب ومكانته، يقدمها لعدوه كما يقدمها لصديقه...

وكما يقول الشيخ الرئيس، والفيلسوف الطبيب أبو علي الحسين بن علي ابن سينا المتوفى ٤٢٨هـ في كتابه القانون في الطب[١]: (الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح، ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة..).

وعن تعريف الطب فقد قيل (الطب: علاج الجسم والنفس)[٢] هذا ما جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي أما الأطباء فيقولون: الطب علم وفن

(١) الجزء الأول، ص٣.

(٢) القاموس المحيط ط٢ ج١ ص ١٠٠.

يبحثان في علاج الأمراض والوقاية منها، ومنع حدوثها. والمحافظة على صحة الأبدان وعلاجها إن أحاق بها مرض، علاجاً متكاملاً جسمانياً ونفسانياً. فالطب يحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة[1] ويتم علاج الأمراض إما بالغذاء المناسب أو الدواء الملائم أو بالاثنين معاً أو بالجراحة التي سماها أطباء العرب (العمل باليد). أو بالعلاج النفساني. أو بالجمع بين تلكم.

حقاً إنه من الفائدة بمكان عظيم أن نبدأ المعالجة بالمواد الغذائية إن كان بها الشفاء والمنفعة وإلا فنتحول للأدوية البسيطة وبهذا الصدد يقول طبيب المؤمنين والعالم الطبيب الكيميائي الرازي: (... وحيث المواد الغذائية تشفي وتنفع فعليك بها دون العقاقير وحيث المواد البسيطة تكفي فعليك بها دون المركبة...) وهذا ما يوصي به الطب الحديث بعد مئات السنين من أقوال ووصية الرازي الطبيب العالم الكيميائي.

وكثير من الأحيان والحالات المرضية يحتاج المريض إلى علاج نفساني، لأن الأمراض الجسمانية العضوية من المحتمل أن تكون أسبابها الاضطرابات النفسية وهذا ما اعتنى به الإسلام وأطباؤه.

فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمةٌ للمؤمنين﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصِّلت آياته ءأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم

---

(١) القانون لابن سينا ص ٣/ج١.
(٢) يونس ٥٧.
(٣) الاسراء: ٨٢.

وقر وهو عليهم عَمىً أولئك يُنادَوْن من مكان بعيد﴾[١].

إن كـل من اتبع تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لن يضل أبداً، وتذهب أحزانه، ويبدد أتراحه، وتزول اضطراباته النفسية فيعيش في رفاهية وهناء وسعادة ولا يهمل همّ المستقبل فهو بيد الله الرازق المعطي المميت الشافي الذي بيده كل شيء فصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول ﴿. . . فمن اتّبع هُداي فلا يَضِلُّ ولا يشقى﴾[٢].

فالإسلام اهتم بمعالجة الانسان علاجاً متكاملاً لا مثيل له فعالج النفس وبذا غذى الروح وهذا ما ينساه الطب الحديث في أغلب الأحيان.

وكذلك عالج الطب الإسلامي الأبدان في اوقات الحرب والسلم سواء كان المريض مدنياً أو عسكرياً، فقيراً أو غنياً، عدواً أو صديقاً.

فكانت المستشفيات الإسلامية مفتوحة أمام الغني والفقير والمسلم وغير المسلم والصديق والعدو فهاكم عميد أطباء مصر ابن رضوان يقول: (الطبيب. . . أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال، ولا يصف دواء قتّالاً ولا يعمله ولا دواء يسقط الأجنة. يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه. . .). نقلاً عن كتاب الطب العربي للأستاذ الدكتور أمين أسعد خير الله ـ أستاذ في الجراحة في الجامعة الأميركية في بيروت طبع سنة ١٩٤٦ بالانجليزية وترجمه للعربية الدكتور مصطفى أبو عز الدين ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

وقد جاء في المصدر السابق ص ٩٠ ـ ٩١: (عرّف المجوسي الطب بأنه: أفضل العلوم وأعظمها قدراً وأجلّها خطراً وأكثرها منفعة لحاجة جميع الناس. . . وهو يبحث في حفظ الصحة على الأصحاء وردها على المرضى (كامل الصناعة الطبية للمجوسي جزء ١ وجه ٣). وعرفه ابن سينا بقوله

(١) فُصّلت: ٤٤.
(٢) طه: ١٢٣.

الطب حفظ صحة، بـرء مرض) (مقدمة أرجـوزة ابن سينا في الـطـب ـ مخطوطة ـ).

وجاء في مقدمة ابن خلدون ص (٤٩٣):

الفصل التاسع عشر
في علم الطب

وَمِنْ فُرُوعِ ٱلطَّبِيعِيَّاتِ صِنَاعَةُ ٱلطِّبِّ وَهِيَ صِنَـاعَةٌ تَنْـظُرُ فِي بَدَنِ ٱلْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ يَمْرَضُ وَيَصِحُّ فَيُحَاوِلُ صَـاحِبُهَا حِفْظَ ٱلصِّحَّـةِ وَبُرْءَ ٱلْمَرَضِ بِٱلْأَدْوِيَةِ وَٱلْأَغْذِيَةِ بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ ٱلْمَرَضَ ٱلَّذِي يَخُصُّ كُلَّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ ٱلْبَدَنِ وَأَسْبَابَ تِلْكَ ٱلْأَمْرَاضِ ٱلَّتِي تَنْشَأُ عَنْهَا وَمَا لِكُلِّ مَرَضٍ مِنَ ٱلْأَدْوِيَةِ مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذٰلِكَ بِأَمْزِجَةِ ٱلْأَدْوِيَةِ وَقُوَاهَا وَعَلَى ٱلْمَرَضِ بِٱلْعَلَامَاتِ ٱلْمُؤْذِنَةِ بِنُضْجِهِ وَقَبُولِهِ ٱلدَّوَاءَ أَوَّلاً فِي ٱلسَّحِيَّةِ وَٱلْفَضَلَاتِ وَٱلنَّبْضِ مُحَاذِينَ لِذٰلِكَ قُوَّةَ ٱلطَّبِيعَةِ فَإِنَّها إِلْمُدَبِّرَةُ فِي حَالَتَي ٱلصِّحَّةِ وَٱلْمَرَضِ وَإِنَّمَا ٱلطَّبِيبُ يُحَاذِيهَا وَيُعِينُهَا بَعْضَ ٱلشَّيْءِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ ٱلْمَـادَّةِ وَٱلْفَصْلِ وَٱلسِّنِّ وَيُسَمَّى ٱلْعِلْمُ ٱلْجَامِعُ لِهٰذَا كُلِّهِ عِلْمَ ٱلطِّبِّ وَرُبَّمَـا أَفْرَدُوا بَعْضَ ٱلْأَعْضَاءِ بِٱلْكَلَامِ وَجَعَلُوهُ عِلْماً خَاصًّا كَٱلْعَيْنِ وَعِلَلِهَا وَأَكْحَالِهَـا وَكَذٰلِـكَ أَلْحَقُوا بِٱلْفَنِّ مِنْ مَنَافِعِ ٱلْأَعْضَاءِ وَمَعْنَاهَا ٱلْمَنْفَعَةَ ٱلَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقَ كُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ ٱلْبَدَنِ ٱلْحَيَوَانِيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ مِنْ مَوْضُوعِ عِلْمِ ٱلطِّبِّ إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مِنْ لَوَاحِقِهِ وَتَوَابِعِهِ وَإِمَامُ هٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ ٱلَّتِي تُرْجِمَتْ كُتُبُهُ فِيهَا مِنَ ٱلْأَقْدَمِينَ جَالِينُوسُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مُعَاصِراً لِعِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَيُقَالُ إِنَّهُ مَاتَ بِصِقِلِّيَّةَ فِي سَبِيلِ تَغَلُّبٍ وَمُطَاوَعَةِ ٱغْتِرَابٍ وَتَآلِيفُهُ فِيهَا هِيَ ٱلْأُمَّهَاتُ ٱلَّتِي ٱقْتَدَى بِهَا جَمِيعُ ٱلْأَطِبَّاءِ بَعْدَهُ وَكَانَ فِي ٱلْإِسْلَامِ فِي هٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ أَئِمَّةٌ جَاءُوا مِنْ وَرَاءِ ٱلْغَايَةِ مِثْلَ ٱلرَّازِي وَٱلْمَجُوسِيِّ وَٱبْنِ سِينَا وَمِنْ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ أَيْضاً كَثِيرٌ وَأَشْهَرُهُمُ ٱبْنُ زُهْرٍ وَهِيَ لِهٰذَا ٱلْعَهْدِ فِي ٱلْمُدُنِ

ٱلْإِسْلَامِيَّةِ كأَنَّهَا نَقَصَتْ لِوُقُوفِ ٱلْعُمْرَانِ وَتَنَاقُصِهِ وَهِيَ مِنَ ٱلصَّنَائِعِ ٱلَّتِي لَا تَسْتَدْعِيهَا إِلَّا ٱلْحضَارَةُ وَٱلتَّرَفُ كَمَا نُبَيِّنُهُ بَعْدُ. وَلِلْبَادِيَةِ مِنْ أَهْلِ ٱلْعُمْرَانِ طِبٌّ يَبْنُونَهُ فِي غَالِبِ ٱلْأَمْرِ عَلَى تَجْرِبَةٍ قَاصِرَةٍ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَشْخَاصِ مُتَوَارَثاً عَنْ مَشَايِخِ ٱلْحَيِّ وَعَجَائِزِهِ وَرُبَّمَا يَصِحُّ مِنْهُ ٱلْبَعْضُ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى قَانُونٍ طَبِيعِيٍّ وَلَا عَلَى مُوَافَقَةِ ٱلْمِزَاجِ وَكَانَ عِنْدَ ٱلْعَرَبِ مِنْ هٰذَا ٱلطِّبِّ كَثِيرٌ وَكَانَ فِيهِمْ أَطِبَّاءُ مَعْرُوفُونَ كَٱلْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ وَغَيْرِهِ وَٱلطِّبُّ ٱلْمَنْقُولُ فِي ٱلشَّرْعِيَّاتِ مِنْ هٰذَا ٱلْقَبِيلِ وَلَيْسَ مِنَ ٱلْوَحْيِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ كَانَ عَادِيًّا لِلْعَرَبِ.

وجاء في مقدمة ابن خلدون ـ دار الفكر ـ بيروت الطبعة الأولى ص (٤١٥ ـ ٤١٦).

الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وإنها محتاج إليها في الحواضر والأمصار دون البادية

هٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةُ ضَرُورِيَّةٌ فِي ٱلْمُدُنِ وَٱلْأَمْصَارِ لِمَا عُرِفَ مِنْ فَائِدَتِهَا فَإِنَّ ثَمَرَتَهَا حِفْظُ ٱلصِّحَّةِ لِلْأَصِحَّاءِ وَدَفْعُ ٱلْمَرَضِ عَنِ ٱلْمَرْضَى بِٱلْمُدَاوَاةِ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُمُ ٱلْبُرْءُ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ وَٱعلَمْ أَنَّ أَصْلَ ٱلْأَمْرَاضِ كُلِّهَا إِنَّمَا هُوَ مِنَ ٱلْأَغْذِيَةِ كمَا قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلْجامِعِ لِلطِّبِّ وَهُوَ قَوْلُه ٱلْمَعِدَةُ بَيْتُ ٱلدَّاء وَٱلْحِمْيَةُ رَأْسُ ٱلدَّواءِ وَأَصْلُ كُلِّ داءٍ ٱلْبَرْدَةُ، فَأَمَّا قَوْلُهُ ٱلْمَعِدَةُ بَيْتُ ٱلْدَّاء فَهُوَ ظَاهِرٌ وَأَمَّا قَوْلُهُ ٱلْحِمْيَةُ رَأْسُ ٱلدَّوَاء فَٱلْحِمْيَةُ ٱلْجُوعُ وَهُوَ ٱلاحْتِمَاءُ مِنَ ٱلطَّعَامِ وَٱلْمَعْنَى أَنَّ ٱلْجُوعَ هُوَ ٱلدَّوَاءُ ٱلْعَظِيمُ ٱلَّذِي هُوَ أَصْلُ ٱلْأَدْوِيَةِ وَأَمَّا قَوْلُهُ أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ ٱلْبَرْدَة فَمَعْنَى ٱلْبَرْدَةِ إِدْخَالُ ٱلطَّعَامِ عَلَى ٱلطَّعَامِ فِي ٱلْمَعِدَةِ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ هَضْمُ ٱلْأَوَّلِ وَشَرْحُ هذا أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ وَحَفِظ حَيَاتَهُ بِٱلْغِذَاءِ يَسْتَعْمِلُهُ بِٱلْأَكْلِ وَيُنْفِذُ فِيهِ ٱلْقُوَى ٱلْهَاضِمَةَ وَٱلْغَاذِيَةَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ دَماً مُلَائِماً لِأَجْزَاءِ ٱلْبَدَنِ مِنَ ٱللَّحْمِ وَٱلْعَظْمِ ثُمَّ تَأْخُذُهُ ٱلنَّامِيَةُ فَيَنْقَلِبُ لَحماً وَعَظْماً وَمَعْنَى ٱلْهَضْمِ طَبْخُ ٱلْغِذَاءِ بِٱلْحَرَارَةِ

ٱلْغَرِيزِيَّةِ طَوْراً بَعْدَ طَوْرٍ حَتَّى يَصِيرَ جُزْءًا بِٱلفِعْلِ مِنَ ٱلْبَدَنِ وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ ٱلْغِذَاءَ إِذَا حَصَلَ فِي ٱلْفَمِ وَلاَكَتْهُ ٱلْأَشْدَاقُ أَثَّرَتْ فِيهِ حَرَارَةُ ٱلْفَمِ طَبْخاً يَسِيراً وَقَلَبَتْ مِزَاجَهُ بَعْضَ ٱلشَّيْءِ كَمَا تَرَاهُ فِي ٱللُّقْمَةِ إِذَا تَنَاوَلْتَهَا طَعَاماً ثُمَّ أَجَدْتَهَا مَضْغاً فَتَرى مِزَاجَهَا غَيْرَ مِزَاجِ ٱلطَّعَامِ ثُمَّ يَحْصُلُ فِي ٱلْمَعِدَةِ فَتَطْبُخُهُ حَرَارَةُ ٱلْمَعِدَةِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ كَيْمُوساً وَهُوَ صَفْوُ ذٰلِكَ ٱلْمَطْبُوخِ وَتُرْسِلُهُ إِلَى ٱلْكَبِدِ وَتُرْسِلُ مَا رَسَبَ مِنْهُ فِي ٱلْمِعَى ثُفْلاً يَنْفذُ إِلَى ٱلْمَخْرَجَيْنِ ثُمَّ تَطْبُخُ حَرَارَةُ ٱلْكَبِدِ ذٰلِكَ ٱلْكَيْمُوسَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ عَبِيطاً وَتَطْفُو عَلَيْهِ رَغْوَةٌ مِنَ ٱلطَّبْخِ هِيَ ٱلصَّفْرَاءُ وَتَرْسُبُ مِنْهُ أَجْزَاءٌ يَابِسَةٌ هِيَ ٱلسَّوْدَاءُ وَيَقْصُرُ ٱلْحَارُّ ٱلْغَرِيزِيُّ بَعْضَ ٱلشَّيْءِ عَنْ طَبْخِ ٱلْغَلِيظِ مِنْهُ فَهُوَ ٱلْبَلْغَمُ ثُمَّ تُرْسِلُهَا ٱلْكَبِدُ كُلَّهَا فِي ٱلْعُرُوقِ وَٱلجَدَاوِلِ وَيَأْخُذُهَا طَبْخُ ٱلْحَالِ ٱلْغَرِيزِيِّ هُنَاكَ فَيَكُونُ عَنِ ٱلدَّمِ ٱلْخَالِصِ بُخَارٌ حَارٌّ رَطْبٌ يُمِدُّ ٱلرُّوحَ ٱلحَيَوَانِيَّ وَتَأْخُذُ ٱلنَّامِيَةُ مَأْخَذَهَا فِي ٱلدَّمِ فَيَكُونُ لَحْماً ثُمَّ غَلِيظُهُ عِظَاماً ثُمَّ يُرْسِلُ ٱلْبَدَنُ مَا يَفْضُلُ عَنْ حَاجَاتِهِ مِنْ ذٰلِكَ فَضَلاَتٍ مُخْتَلِفَةً مِنَ ٱلْعَرَقِ وَٱللُّعَابِ وَٱلْمَخَاطِ وَٱلدَّمْعِ هٰذِهِ صُورَةُ ٱلْغِذَاءِ وَخُرُوجِهِ مِنَ ٱلقُوَّةِ إِلَى ٱلْفِعْلِ لَحْماً ثُمَّ إِنَّ أَصْلَ ٱلْأَمْرَاضِ وَمُعْظَمَهَا هِيَ ٱلْحُمَّيَاتُ وَسَبَبُهَا أَنَّ ٱلْحارَّ ٱلغَرِيزِيَّ قَدْ يَضْعُفُ عَنْ تَمَامِ ٱلنُّضْجِ فِي طَبْخِهِ فِي كلِّ طَوْرٍ مِنْ هٰذِهِ فَيَبْقَى ذٰلِكَ ٱلْغِذَاءُ دُونَ نُضْجٍ وَسَبَبُهُ غَالِباً كَثْرَةُ ٱلْغِذَاءِ فِي ٱلْمَعِدَةِ حَتَّى يَكُونَ أَغْلَبَ عَلَى ٱلْحَارِّ ٱلغَرِيزِيِّ أَوْ إِدْخَالُ ٱلطَّعَامِ إِلَى ٱلْمَعِدَةِ قَبْلَ أَنْ تَسْتَوْفِيَ طَبْخَ ٱلْأَوَّلِ فَيَسْتَقِلُّ بِهِ ٱلْحَارُّ ٱلْغَرِيزِيُّ وَيَتْرُكُ ٱلْأَوَّلَ بِحَالَةٍ أَوْ يَتَوَزَّعُ عَلَيْهِمَا فَيَقْصُرُ عَنْ تَمَامِ ٱلطَّبْخِ وَٱلنُّضْجِ وَتُرْسِلُهُ ٱلْمَعِدَةُ كَذٰلِكَ إِلَى ٱلْكَبِدِ فَلاَ تَقْوَى حَرَارَةُ ٱلْكَبِدِ أَيْضاً عَلَى إِنْضَاجِهِ وَرُبَّمَا بَقِيَ فِي ٱلْكَبِدِ مِنَ ٱلْغِذَاءِ ٱلْأَوَّلِ فَضْلَةٌ غَيْرُ نَاضِجَةٍ وَتُرْسِلُ ٱلْكَبِدُ جَمِيعَ ذٰلِكَ إِلى ٱلْعُرُوقِ غَيْرَ نَاضِجٍ كَمَا هُوَ فَإِذَا أَخَذَ ٱلْبَدَنُ حَاجَتَهُ ٱلْمُلاَئِمَةَ أَرْسَلَهُ مَعَ ٱلْفَضَلاَتِ ٱلْأُخْرَى مِنَ ٱلْعَرَقِ وَٱلدَّمْعِ وَٱللُّعَابِ إِنِ ٱقْتَدَرَ عَلَى ذٰلِكَ وَرُبَّمَا يَعْجِزُ عَنِ ٱلْكَثِيرِ مِنْهُ فَيَبْقَى فِي ٱلْعُرُوقِ وَٱلْكَبِدِ وَٱلْمَعِدَةِ وَتَتَزَايَدُ مَعَ ٱلْأَيَّامِ وَكُلُّ ذِي رُطُوبَةٍ مِنَ ٱلْمُمْتَزِجَاتِ إِذَا لَمْ يَأْخُذْهُ ٱلطَّبْخ

وَٱلنُّضْجُ يُعَفِّنُ فَيَتَعَفَّنُ ذٰلِكَ ٱلْغِذَاءُ غَيْرُ ٱلنَّاضِجِ وَهُوَ ٱلْمُسَمَّى بِٱلْخِلْطِ وَكُلُّ مُتَعَفِّنٍ فَفِيهِ حَرَارَةٌ غَرِيبَةٌ وَتِلْكَ هِيَ ٱلْمُسَمَّاةُ فِي بَدَنِ ٱلْإِنْسَانِ بِٱلْحُمَّى وَٱخْتَبِرْ ذٰلِكَ بِٱلطَّعَامِ إِذَا تُرِكَ حَتَّى يَتَعَفَّنَ وَفِي ٱلزِّبْلِ إِذَا تَعَفَّنَ أَيْضاً كَيْفَ تَنْبَعِثُ فِيهِ ٱلْحَرَارَةُ وَتَأْخُذُ مَأْخَذَهَا فَهٰذَا مَعْنَى ٱلْحُمَّيَاتِ فِي ٱلْأَبْدَانِ وَهِيَ رَأْسُ ٱلْأَمْرَاضِ وَأَصْلُهُ كَمَا وَقَعَ فِي ٱلْحَدِيثِ وَهٰذِهِ ٱلْحُمَّيَاتُ عِلَاجُهَا بِقَطْعِ ٱلْغِذَاءِ عَنِ ٱلْمَرِيضِ أَسَابِيعَ بِمَعْلُومَةٍ ثُمَّ يَتَنَاوَلُ ٱلْأَغْذِيَةَ ٱلْمُلَائِمَةَ حَتَّى يَتِمَّ بُرْؤُهُ وَذٰلِكَ فِي حَالِ ٱلصِّحَّةِ عِلَاجٌ فِي ٱلتَّحَفُّظِ مِنْ هٰذَا ٱلْمَرَضِ وَأَصْلُهُ كَمَا وَقَعَ فِي ٱلْحَدِيثِ وَقَدْ يَكُونُ ذٰلِكَ ٱلْعَفَنُ فِي عُضْوٍ مَخْصُوصٍ فَيَتَوَلَّدُ عَنْهُ مَرَضٌ فِي ذٰلِكَ ٱلْعُضْوِ وَيَحْدُثُ جِرَاحَاتٌ فِي ٱلْبَدَنِ إِمَّا فِي ٱلْأَعْضَاءِ ٱلرَّئِيسِيَّةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا وَقَدْ يَمْرَضُ ٱلْعُضْوُ وَيَحْدُثُ عَنْهُ مَرَضُ ٱلْقُوَى ٱلْمَوْجُودَةِ لَهُ هٰذِهِ كُلُّهَا جُمَّاعُ ٱلْأَمْرَاضِ وَأَصْلُهَا فِي ٱلْغَالِبِ مِنَ ٱلْأَغْذِيَةِ وَهٰذَا كُلُّهُ مَرْفُوعٌ إِلَى ٱلطَّبِيبِ وَوُقُوعُ هٰذِهِ ٱلْأَمْرَاضِ فِي أَهْلِ ٱلْحَضَرِ وَٱلْأَمْصَارِ أَكْثَرُ لِخِصْبِ عَيْشِهِمْ وَكَثْرَةِ مَآكِلِهِمْ وَقِلَّةِ ٱقْتِصَارِهِمْ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْأَغْذِيَةِ وَعَدَمِ تَوْقِيتِهِمْ لِتَنَاوُلِهَا وَكَثِيراً مَا يَخْلِطُونَ بِٱلْأَغْذِيَةِ مِنَ ٱلتَّوَابِلِ وَٱلْبُقُولِ وَٱلْفَوَاكِهِ رَطْباً وَيَابِساً فِي سَبِيلِ ٱلْعِلَاجِ بِٱلطَّبْخِ وَلَا يَقْتَصِرُونَ فِي ذٰلِكَ عَلَى نوعٍ أَوْ أَنْوَاعٍ فَرُبَّما عَدَّدْنَا فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْوَاحِدِ مِنْ أَلْوَانِ ٱلطَّبْخِ أَرْبَعِينَ نَوْعاً مِنَ ٱلنَّبَاتِ وَٱلْحَيَوَانِ فَيَصِيرُ لِلْغِذَاءِ مِزَاجٌ غَرِيبٌ وَرُبَّمَا يَكُونُ غَرِيباً عَنْ مُلَاءَمَةِ ٱلْبَدَنِ وَأَجْزَائِهِ .

أما الطبيب اليوناني أبقراط فيعرف الطب كما يلي: (. . . أبوقراط عرّف الطب بالفن الذي ينقذ المرضى من آلامهم ويخفف من وطأة النوبات العنيفة ويبتعد عن معالجة الأشخاص الذين لا أمل في شفائهم إذ أن المرء يعلم أن فن الطب لا نفع له في هذا الميدان. وهنا برز الرازي وكان أوّل من فكّر بمعالجة المرضى الذين لا أمل في شفائهم واهتم بهم كل الاهتمام)[1].

(١) نقلاً عن كتاب شمس العرب تسطع على الغرب تأليف الدكتوره زيغريد هونكه ص ٢٥٣.

وعن الطب قال الحارث بن كلدة الذي عاصر الرسول صلوات الله وسلامه عليه، قال: في محاورة له مع كسرى أنوشروان ملك الفرس عندما سأل الحارث: (ما أصل الطب؟ قال: الأزم. قال: فما الأزم؟ قال: ضبط الشفتين والرفق باليدين. قال: أصبت. قال: وما الداء الدوي؟ قال: ادخال الطعام على الطعام هو الذي يفني البرية). (نقلا عن كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء تأليف ابن أبي أصيبعة[1].

(١) منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

الفصل الثالث

فُروع الطبّ وعَلاقته بالفلسَفة وَالحِكمَة

الطب علم وفن ورسالة تبحث في حفظ الصحة على الأصحاء ومعالجة المرضى من أمراضهم ووقايتهم منها بعد شفائهم.

والذي يمارس جميع الفروع الطبية ويقوم بالاعتناء ومعالجة الجسم ككل تقريباً يسمى ممارس في الطب العام أو الطبيب العـام .G. P (General Practitioner).

وإذا لزمه الأمر وكانت حالة مريضه تتطلب عناية فوق مستوى الطب العام، سيحيله إلى طبيب أخصّائي (اختصاصي)، يختص بفرع واحد من فروع الطب أو جزء منه Specialist.

وهنالك اختصاصات Specializations عديدة في فروع الطب المتنوعة في عصرنا الحديث.

ومن تلك التخصيصات (التخصصات) على سبيل المثال التخصص بطب الأمراض الصدرية أو النسائية والتوليد أو الأطفال أو العيون أو القلب أو الجلد أو الأذن والأنف والحنجرة أو المسالك البولية أو التخصص بالأمراض الباطنية أو أمراض الدم أو الغدد الصماء أو العظام أو التجميل أو التخصص بالمعالجة بالأشعة بفروعها مثل المعالجة بالأشعة أو بالراديوم أو بالأشعة ذات الذبذبات الفوق صوتية Ultra Sonic Rays أو بالطب النووي أي التخصص

بعلم النسج المرضية Histopathology الذي يبحث في التغييرات المرضية في الأنسجة، أو بالجراحة العامة، أو الطب الوقائي، أو التخدير.

علاوة على ذلك فهناك تخصصات لفرع من فروع الطب ففي الجراحة العامة مثلاً يوجد اختصاصات عديدة منها ما يختص بجراحة الأعصاب Neurosurgery ومنها ما يختص بالجراحة النفسية أو جراحة الدماغ Psycho Surgery. . . أو بجراحة القلب أو المسالك البولية أو التجميل أو العظام. . إلخ.

وأما في طب الأسنان فهنالك مجالات عالية التخصص ومتنوعة فمنها ما يختص بعلم وطب تقويم الأسنان Orthodontology أي تعديل الأسنان الغير منتظمة في القوس السنية، وتصحيح الاعوجاجات في الفكين وكذلك تعديل سوء تطابق الأسنان ويسمى طبيب الأسنان الذي يقوم بتلك الأمور اختصاصي بتقويم الأسنان Orthodontist.

وهنالك من يختص بتراكيب الفم أي تعويض الأجزاء المفقودة من الأسنان من أطقم صناعية وغيرها ويسمى اختصاصي بصنع تراكيب (بديلات) الأسنان Prosthodontist والبعض يختص بجراحة الفم والأسنان أو بالأمراض النساعية Periodontology الذي يبحث بأمراض اللثة وأنسجة ما حول السن أو يختص بعلم طب الأسنان الوقائي Preventive Dentistry أو Prophylactodontia أو بطب أسنان الأطفال Paedodontia أو بعلم المحافظة على صيانة الأسنان من حشو وتقليح وتلابيس. . . إلخ. وهنالك تخصصات أخرى في طب الأسنان والطب العام فعلى سبيل المثال: الطب البسيكوسوماتي: Psychosomatic وهو الطب النفسي الجسمي وممارسه يسمى الطبيب النفساني والجسدي Psychosomaticist.

والطب النفسي الجسماني يبحث في علم أمراض البدن النفسية والتي

تصيب الأعضاء الجسمانية الخاضعة لتأثير الجهاز العصبي المستقل.

وأسباب أمراض الجسم النفسية هي العوامل والاضطرابات النفسية كالقلق والخوف والحزن... إلخ، وهذه الأمراض تصيب الجهاز التنفسي والهضمي والبولي والتناسلي والقلب. ومن تلك الأمراض: قرحة المعدة، والربو، وارتفاع ضغط الدم الأساسي... إلخ.

والعلاج النفسي من العوامل المهمة في شفاء تلك الأمراض.

وهنالك من يتخصص بالجراحة العامة أو بفرع منها، أو بأمراض الأعصاب، أو بطب الأسنان واختصاصاته عديدة، أو بالطب الشرعي Forensic Medicine. الذي يختص بتطبيق علم الطب على مشكلات القانون والقضاء مثل تحديد العلاقة بين الطبيب والمريض، وإثبات النبوة، والإصابات، والموت الذي أسبابه العنف وغير ذلك من حوادث وإصابات...

وهنالك من يتخصص بطب الطيران Aeromedicine الذي يبحث في التأثيرات الجوية على جسم الإنسان وأنسجته مثل نقص الأكسجين، وتغييرات الضغط الجوي، والسرعة ونحو ذلك من تغييرات وتأثيرات.

والبعض يتخصص بالطب العقلي وبهذا الصدد فقد جاء في الموسوعة العربية الميسرة الطبعة الثانية ص ١١٥٢: (طب عقلي: أحد فروع الطب. موضوعه تشخيص الاضطرابات العقلية وعلاجها. يعتبر الدكتور بينل أول من حاول ذلك بطريقة علمية. وأوّل من سعى إلى تحسين معاملة المرضى داخل المستشفيات. وفي مطلع القرن (٢٠) اهتم العلماء بالكشف عن أسباب الأمراض العقلية والنفسية، ويعد كريبلين أبا الطب العقلي الحديث. فقد قام بإعادة تنظيم مجاله وتصنيف مختلف مظاهره. وتعريف الذهان تعريفاً دقيقاً وتقسيم مجاله إلى تصنيفين كبيرين: ذهان الهوس والاكتئاب. والجنون المبكر.

وبتأثير فرويد منشىء التحليل النفسي. اهتم العلماء بدراسة دوافع سلوك المريض وحياته الانفصالية العميقة. وتعالج الأمراض العقلية والنفسية بالصدمات وببعض العقاقير التي تؤثر في الجهاز العصبي المركزي (سمبثاوي) والجهاز العصبي المستقل (باراسمبثاوي) وبعض جراحات المخ. والعلاج بالنوم والعلاج النفسي والعلاج بالعمل).

وتعليقاً على ما ورد فيما سبق من أقوال أنّ: (الدكتور بينل . . . أوّل من سعى إلى تحسين معاملة المرضى داخل المستشفيات. .)؛ فإننا نورد ما تقوله الدكتورة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها[1]: (يروى أنه عندما أراد السلطان عضد الدولة (٩٣٦ - ٩٨٣م) أن يبني مستشفى جديداً حديثاً في مدينة بغداد أوكل إلى الطبيب الذائع الشهرة الرازي بالبحث عن أفضل مكان . . . وأما السلطان صلاح الدين (١١٣٨ - ١١٩١م) في القاهرة فلقد اختار أحد قصوره الفخمة وحوّله إلى مستشفى ضخم كبير، المستشفى الناصري. . . وتوافرت في مستشفيات الخلفاء والسلاطين كل أسباب الرفاهية التي كانت تتوافر في قصورهم من أسرّة وثيرة ناعمة إلى حمامات كانت تتمتع بها الطبقة الحاكمة في بيوتها ومن المعلوم أن هذه المستشفيات، على غناها ورفاهيتها كانت تفتح أبوابها للفقراء ولكل أبناء الشعب بدون تمييز. وعندما انتهى المستشفى المنصوري في القاهرة طلب السلطان المنصور قلاوون (١٢٧٩ - ١٢٩٠م) قدحاً من العصير من المستشفى، فشربه وقال: (إني قد وهبت هذا المستشفى إلى أندادي وأتباعي وخصصته للحكام والخدم، للجنود والأمراء، للكبار والصغار، للأحرار والعبيد، للرجال والنساء على السواء). ولم يكن هذا كل شيء بل أن العناية الجيدة كانت في الواقع عناية لم يكن يعرفها إلا الأمراء) وتستطرد وتقول الدكتورة زيغريد ص ٢٢٥ - ٢٢٦ (إن من أفضل المستشفيات التي أنشئت بادىء ذي بدء في بلاد الفرنجة كانت

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٢٩.

مستشفيات اوتيل ديو Hotel Dieu أو مأوى الله في باريس (.. كان ثمة قش كثير موضوع على الأرض تزاحم عليه المرضى.. وأقدام بعضهم إلى جانب رؤوس الآخرين.. الأطفال قرب الشيوخ والرجال بجانب النساء بشكل يدعو إلى العجب... الطعام سيء يقدم لهم في ندرة وأما كمية الطعام فهي ضئيلة جداً... كان المبنى الذي يضم المرضى يزدحم بأخطر الحشرات أضف إلى ذلك فساد الهواء في الداخل لدرجة لا تطاق ولا تحتمل... وكانت جثث الموتى من المرضى تُترك مدة أربع وعشرين ساعة وفي الغالب أكثر قبل أن تنقل، فيضطر المرضى الآخرون خلال ذلك الوقت أن يشاطروا الجثث هذا المكان، الجثث التي يدب فيها الفساد بسرعة في جو جهنمي كهذا، فتفوح الروائح النتنة في الأجواء، وينقضّ البعوض ويهجم ممعناً نهشاً وأكلاً من اللحم النتن)[1]. (.. وكـان مستشفى ستـراسبـورغ Strasbourg أول مستشفى التصق به طبيب رسمي وكان ذلك سنة ١٥٠٠م أي بعد ثمانمائة سنة من تأسيس أول مستشفى عربي، كان قد أنشأه الوليد الخليفة الأموي وعيّن فيه الأطباء والمرضين، وفي عام ١٥١٧م تبعت Strasbourg مدينة Leipzig وحذت باريس حذوها فأنشأت أوتيل ديو عام ١٥٣٦م).

كذلك فالحقائق التاريخية تشهد أنه بينما المسلمون يعاملون مرضاهم المصابون بعقولهم معاملة حسنة كان الأوروبيون يكبلون هؤلاء المرضى بقيود من حديد، ويصفون الضرب لهم كعلاج وبهذا الصدد جاء في كتاب الطب العربي للدكتور أمين أسعد خير الله ـ الأستاذ بالجامعة الأميركية في بيروت ـ ص ٦٩: (... وفي هذا الوقت كان المجانين في أوروبا يقيدون بسلاسل الحديد والعلاج الوحيد لهم كان الضرب عندما ترتفع اصواتهم بالصراخ)[2]. (في عام ١٣١٣ أمر فيليب بحرق جميع المجذومين)[3] بينما بنى الخليفة الأموي

(١) الدكتورة زيغريد ص ٣١٢ من المصدر السابق.
(٢) المصدر (Ditto: Devils Drugs and Doctors P. 371).
(٣) المصدر Haggard: Devils, Drugs and Doctors p. 194

الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٧ م أول مستشفى للجذام وكذلك بنى الأمويون في سورية مستشفيات للمجانين وكانوا يعالجونهم جسمانياً ونفسياً بينما كان المجانين يضربون في أوروبا.

ولقد كان الأطباء في العصور القديمة يمارسون جميع فروع الطب وعالمين بعلوم عديدة غير العلوم الطبية. وهنالك أسماء تطلق على من يمارسون مهنة الطب فمنهم الطبيب الفيلسوف، والفيلسوف الطبيب والطبيب العالم، والطبيب، والحكيم. وذلك على حسب مقدار تبحره وتضلعه في الطب أو العلوم المتنوعة الأخرى وبصدد الفرق بين الطبيب الفيلسوف، والفيلسوف الطبيب فقد جاء في كتاب الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب تأليف مجموعة من الأطباء والكتاب المعاصرين بإشراف الدكتور الأستاذ محمد كامل حسين ص (٢٨ - ٢٩) (وكان ابن سينا يَفضُل الأطباء بأنه فيلسوف ممتاز. ويَفْضُل الفلاسفة بأنه طبيب ممتاز، جمع في كتابه بين أسلوب الفلسفة وحقائق الطب. والواقع أن العرب كان فيهم الأطباء الفلاسفة والفلاسفة الأطباء... أقول إن الفريق الأول كان شغلهم الشاغل التشخيص والعلاج، والتفريق بين الأمراض المتشابهة، وحسن تدبير المرضى، وتجنب الأخطاء في ذلك كله، يلتمسون ذلك عن طريق التفكير المنظم. والفريق الثاني كان أكبر همهم تنسيق الحقائق واستقامة المنطق، وربط الأسباب بالمسببات، وصدق التقسيم والتبويب، ووضوح ذلك كله، يؤكدون أموراً قد لا يعنى بها الطبيب في عمله حين يرون ذلك ضرورياً للعرض المنطقي الكامل. وابن سينا بلغ الغاية في الفلسفة والطب، ولكنه مع ذلك كان أكثر ميلاً بطبعه للفلسفة ومن هنا كان كتابه مقبولاً عند المفكرين والدارسين، على حين أن كتب الرازي كانت أكثر قبولاً عند الممارسين خاصة ولعل ابن سينا لم يتفرغ لفحص المرضى واستنباط خير علاج لهم. ولا يعني هذا أن علمه بالطب كان ناقصاً ولكنه يعني أن تصوره للطب كان تصوراً يليق بفيلسوف مثله. ولعله كان يرى ما كان

يعتقده أكثر الناس إلى عهد قريب أن ثقافة الطبيب الممارس ثقافة مهنية، وأن فلسفة الطب أصدق وأرقى من ممارسته).

ولقد كان الرازي كما يشهد له التاريخ طبيباً عالماً كيميائياً وإكلينيكياً ماهراً. فلقد اهتم بالبحث العلمي والتجارب والخبرة التي تستند على السريريات والمشاهدات لا على المنطق والفلسفة. فطب الرازي يعتمد على الطب العملي.

ولقد جاء في الموسوعة العربية الميسرة ـ الطبعة الثانية ص ٨٥٢ (الرازي طبيب وكيميائي وفيلسوف مسلم). وفي كتاب الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ص ٢٧ فقد جاء: (إن مجد الرازي يقوم في الواقع على علمه بالطب العملي وخدمته فيه وما ابتدعه من تدوين المشاهدات والتعليق عليها...) وجاء في المصدر السابق ص ٣٩٩ (وعلى الجملة فالرازي عند الكثيرين يرجح على ابن سينا في الطب، كما ابن سينا يرجح على الرازي في الفلسفة فابن سينا طبيب فيلسوف والرازي طبيب كيميائي أو طبيب عالم...) وجاء في ص ٢٦٠ (الرازي أعظم طبيب إكلينيكي...)

وكان الطبيب ابن زهر، وهو أشهر أطباء عائلة ابن زهر الأندلسية والمدعو أبا مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر، يعتمد في المداواة على البرهان والتجربة العملية، والبحث العلمي والملاحظة ولا يحب السفسطة والآراء النظرية الفلسفية بالطب، لذلك انتقد كتب الشيخ الرئيس، الفيلسوف الطبيب ابن سينا الذي كان يعتمد في ابحاثه الطبية على الآراء الفلسفية.

وكان الطبيب عند العرب يسمى حكيماً لأنه يلمّ ويتبحر بعلوم عديدة كالطب والفلسفة والرياضيات والموسيقى والطبيعيات وغير ذلك من العلوم. ولا يخلو الأمر أن بعضهم قد اشتهر بفن من فنون الطب مع أنه كان ملمّاً

بالفروع الأخرى في العلوم الطبية فمنهم من أشتهر بطب العيون ويسمون الكحالة ومن هؤلاء الكحالة: الشاذلي، ابن رصيف البغدادي وابن عزوز المراكشي مؤلف كتاب (امراض العينين) وعيسى بن علي وهو من تلاميذ حنين بن اسحق ومؤلف كتاب (تذكرة الكحالين) وعمار الموصلي مؤلف كتاب (علاج العيون) وذكر في هذا الكتاب شرحاً مفصلاً لأمراض العين وتشريحها. وكذلك علي بن عيسى وهو مؤلف كتاب (علاج العين) ومع ذلك فالشيخ الرئيس ابن سينا بحث في امراض العيون وأيضاً الطبيب الشهير الرازي وغيرهم كثيرون.

ويقول الحكيم راجي عباس التكريتي ـ عضو الاتحاد الدولي لأمراض المفاصل والتأهيل الطبي في كتابه ـ السلوك المهني للأطباء ـ الطبعة الثانية ـ ص ٨ ـ ٩: (والطب في إطاره الواسع ومضمونه مهنة يمارسها الطبيب وهو كذلك ثقافة واسعة وعميقة، وهو علم دقيق وخبرة متواصلة لعمل الأفضل، فهو يعين على صحة الرأي وأصالة الحكم وحسن التقدير، وهو فوق هذا وذاك فلسفة عميقة لأنه يبغي معرفة حقيقة الأنسان بروحه وجسمه، بصحته ومرضه، وما يحدث فيه من تغيرات، وما هو طبيعي من هذه التغيرات وما هو غير طبيعي وكان الأطباء قديماً هم الفلاسفة، والفلاسفة هم الأطباء والحكماء... الطب واجب مقدس وفلسفة إنسانية وعمل خيّر أكثر من أن يكون علماً جامداً أشبه بالآلة الصماء دون إدراك أو إحساس ولا هو مهنة تجارية تبغي الربح ليس إلا!! وخير ما يعبر عن معنى الطبيب كلمة ـ حكيم ـ لأن الحكمة تجمع بين الفلسفة والعلم والسمو الإنساني).

وجاء في المنجد في اللغة[1]: تفلسف: تعاطى الفلسفة وتحكّم: من معنى الحكمة. تأنّق وتفنن في المسائل العلمية. تظاهر بالحذق وادّعاه. الفلسفة:

(١) الطبعة العشرين ـ ص ٥٩٣.

الحكمة، التأنق في المسائل العلمية والتفنن فيها. علم الأشياء بمبادئها وعللها الأولى. والكلمة يونانية مركبة في الأصل من فيليا أي محبّة وصوفيا أي الحكمة فيكون تأويلها (محبة الحكمة الفيلسوف ج فلاسفة: العالم بالفلسفة).

وجاء في المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية)[1]: الحِكمة: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. والعلم والتفقه. وهو الكلام الذي يقلّ لفظه ويَجِّل معناه. وعلم الحكمة: الكيمياء والطب.. الحكيم من أسماء الله تعالى والرجل ذو الحكمة. وهو الفيلسوف. وهو الطبيب. والذكر الحكيم: القرآن لأنه الحاكم للناس وعليهم ولأنه محكم لا اختلاف فيه ولا اضطراب. وجاء في الجزء الثاني من نفس المصدر السابق ص ٧٠٧ (فلسف الشيء فسّره تفسيراً فلسفياً. تفلسف: سلك طريق الفلاسفة في بحوثه. وتكلف طريقهم دون أن يحسنها.

الفلسفة: دراسة المبادىء الأولى وتفسير المعرفة تفسيراً عقلياً. وكانت تشمل العلوم جميعاً واقتصرت في هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة. (الفيلسوف العالم الباحث في فروع الفلسفة).

وجاء في المصدر السابق: المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية)[2]: الطِّبُّ: الحِذق والمهارة وهو الحاذق الماهر. وهو الرّفيق الحكيم.

الطُّبُّ: علاج الجسم والنفس ومنه علم الطِّب وهو الرّفق وحسن الاحتيال.

وهو السِّحر. وهو الدّأب والعادة.

---

(١) الجزء الأول ص (١٨٩ - ١٩٠).

(٢) الجزء الثاني ص ٥٥٥.

الطبيب من حرفته الطِّب أو الطِّبابة. وهو الذي يعالج المرضى ونحوهم. وهو العالم بالطِّب وهو الحاذق الماهر. وهو الرفيق اللبق. جمع أطبَّة وأطباء. وجاء في لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري[1]: الطِّب: علاج الجسم والنّفس والمُتطبِّب: الذي يتعاطى علم الطب... وجاء يَسْتَطب لوجعه أي يستوصف الدواء أيُّها يصلح لدائه... والطبيب الحاذق من الرجال، الماهر بعلمه، وفي ص ٥٥٤: (الطبيب في الأصل، الحاذق بالأمور، العارف بها، وبه سمي الطبيب الذي يعالج المرضى... والمُتَطَبِّب: الذي يعاني الطِّب ولا يعرفه معرفة جيدة...)[2].

(حكم: من صفات الله سبحانه وتعالى الحَكَمُ والحكيم والحاكم... الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم... والحكيم العالم... والحُكْم: العلم والفقه وفي الحديث إن من الشعر لحكمه: أي إن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسَّفَه وينهى عنهما...)[3].

ويقول الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام[4]: (وقد اطلق على من يشتغل بالطب في العصور الوسطى حكيم والفلسفة كلمة يونانية معناها الحكمة ويطلق على من يزاولها حكيم لأن الطب كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفلسفة).

---

(١) دار صادر ـ المجلد الأول ـ ص ٥٥٣.
(٢) في الجزء التاسع من نفس المصدر ص ٢٧٣.
(٣) في الجزء ١٢ من نفس المصدر السابق ص (١٤٠ ـ ١٤١).
(٤) الجزء الرابع ص ٥٢١.

وجاء في المنجد في اللغة والاعلام[1]: (الحكمة: الفلسفة... الحكيم صاحب الحكمة العالم). وفي ص ٤٥٩: (الطبيب: صاحب علم الطب).

أما القاموس المحيط ـ الطبعة الثانية تأليف الفيروز آبادي فقد جاء في الجزء الرابع ص ١٠٠ (الحكمة بالكسر: العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل...) وفي الجزء الأول ص ١٠٠ (الطب علاج الجسم والنفس...).

وقد نبغ بعض الأطباء بعلوم عديدة غير الطب فالطبيب الفيلسوف ابن رشد كان قاضياً متبحراً بالفقه والرازي كان طبيباً وعالماً بالطب والكيمياء والموسيقى وعلم النفس والأدوية والفلسفة وعلم الفضاء والبصريات والأرصاد الجوية... الخ.

---

(١) الطبعة العشرين ص ١٤٩.

الفصل الرابع

قسم الطبيب

منذ زمن سحيق، حين ظهر قسم أبقراط الطبي، والطبيب يقطع على نفسه عهوداً ويقسم بخالقه سبحانه وتعالى، على تنفيذها والقيام بها.

وتلك العهود التي أقسم على تنفيذها هي الواجبات والآداب الطبية، بالمحافظة على صحة مرضاه والعناية بهم، وأن يكون محافظاً على صحتهم باذلاً كل جهده بقدر استطاعته لدرء الخطر والآلام عنهم، ساتراً عوراتهم، كاتماً سرّهم، مقدماً رعايته الصحية للصالح والخاطىء، للقريب والبعيد، للصديق والعدو، للغني والفقير، للعبد والحر، للصغير والكبير، موقراً من علّمه، مثابراً على طلب العلم دائماً وأبداً حتى اللحد أنّى كان منبعه، موقراً من علّمه ومقدماً الخدمة لمن يحتاجها.

وإليكم نصّ قسم أبقراط كما ذكره ابن أبي أصيبعة في كتابه طبقات الأطباء.

قسم أبقراط

قال أبقراط: (إني أقسم بالله رب الحياة والموت، وواهب الصحة، وخالق الشفاء، وكل علاج. وأقسم بأسقليبيوس، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً، وأشهدهم جميعاً على أني أفي بهذه اليمين وهذا الشرط، وأرى أن المعلم لي هذه الصنعة بمنزلة آبائي وأواسيه في معاشي، وإذا احتاج

إلى مال واسيته وواصلته من مالي. وأما الجنس المتناسل منه فأرى انه مساو لإخوتي، وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير اجرة ولا شرط، وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط أو حلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة، وأما غير هؤلاء فلا افعل به ذلك وأقصد في جميع التدابير بقدر طاقتي منفعة المرضى.

وأما الأشياء التي تضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمتنع منها بحسب رأيي ولا أعطي إذا طلب مني دواء قاتلاً ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة (شيء يتداوى به النساء) تسقط الجنين، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة، ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجر، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل. وكل المنازل التي أدخل إليها لمنفعة المريض، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إراديّ مقصود إليه في سائر الأشياء، وفي الجماع للنساء والرجال، الأحرار منهم والعبيد، وأما الأشياء التي أعانيها في أوقات علاج المرضى أو اسمعها في غير اوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا يُنطق بها خارجاً فأمسك عنها، وأرى أن امثالها لا ينطق به. فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد شيئاً كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال واجملها وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ومن تجاوز ذلك كان بضده)[1]. وفي رواية ثانية لقسم أبوقراط كما أورده الدكتور الحكيم راجي عباس التكريتي في كتابه[2]: (... هذا هو نص القسم المتفق عليه في أغلب المصادر والوثائق التاريخية:

(أقسم بأبولو الطبيب، واسكلابيوس، وهيجا وبانيسيا، وأشهد جميع

---

(١) عن كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٤٥ تأليف الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة تحقيق د. نزار رضا.

(٢) السلوك المهني للأطباء ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

الآلهة على أني سوف أحفظ عهدي التالي حسب إمكاني وحكمي).

(أن أعزّ من علمني هذا الفن كمعزتي لوالدي، وأشركه معاشي، وإن احتاج فأقاسمه مالي واعتبر ذريته كإخوتي، أعلمهم هذا الفن دون أجر أو شرط).

(سوف أبوح لأولادي وأولاد من علمني وجميع التلاميذ الذين قيدوا أنفسهم ووافقوا على قواعد المهنة، لهؤلاء دون غيرهم ـ نواميسها ووصاياها).

(واقسم بأن أشير على مرضاي بالنظام الذي أرى على قدر استطاعتي وإدراكي، أنه هو الأنفع لهم في الغذاء والدواء وأمتنع عن كل ما هو ضار ومؤذٍ).

(سوف لا أصف دواء قتالاً، أو أنصح بما قد يسبب الموت إرضاءً لأحد ولا أعطي امرأة فرزجة مجهضة، بل سوف أديم طهارة حياتي وفني).

(وألا أخصي الأشخاص الذين يعملون تحت الأحجار، ولكني سأترك ذلك لمن يمارسون هذا العمل).

(سوف لا استخرج حصاة من مريض، وإن ظهر المرض فيه، بل أترك هذه العملية ليقوم بها الممارسون ـ المختصون بهذا الفن).

(وفي أي منزل أدخله سيكون هدفي منفعة المريض وسوف أكف عن عمل يستهدف الأذى أو الفساد عمداً مبعداً نفسي عن وكل ما يشين وخصوصاً عن ملذات حب النساء والرجال احراراً أم عبيداً).

(وسوف احتفظ بكل ما أراه أو أسمعه من اسرار الناس التي ينبغي ألا أكشف ما لا يجب ذكره مما تصل معرفتي إليه في حدود مهنتي أو خارجها أو في مخالطتي اليومية مع الناس بل أكتمه سرّاً).

(وما دمت باقياً على قسمي هذا غير حانث به، فليكن جزائي التمتع

بالحياة وبممارسة فني، مبجلاً من جميع الناس على مرّ العصور، أما إذا انتهكت هذا القسم وحنثت به فليكن جزائي عكس ذلك).

وهنالك من يقسمون بقسم طبي خاص بهم قد حوّروه بإيجاز عن قسم أبقراط على حسب ملائمته لهم طبقاً لمعتقداتهم وأحوالهم وظروفهم، ولكن نرى من خلاله أن روح وبعض أفكار أبقراط لا تزال موجودة ومهيمنة في ذلك القسم.

وإليكم القسم الذي وضعه الطبيب موسى بن ميمون الأندلسي كما جاء في كتاب الحكيم راجي عباس التكريتي[1]: (... وأن موسى بن ميمون الأندلسي (- تاريخ الحكماء - القفطي - ص ٣١٧ -) من أهالي الأندلس كان يهودي النحلة قرأ علم الأوائل بالأندلس وأحكم الرياضيات، وقرأ الطب هناك فأجاده علماً، وقد أسلم في الأندلس ودرس العلوم الإسلامية، ومن ثم سافر إلى مصر وسكن الفسطاط وتزوج يهودية وارتد عن الإسلام. وقد غلبت عليه النحلة الفلسفية وعاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، وكان موسى بن ميمون طبيباً حاذقاً وفيلسوفاً متبحراً بالعلوم الإسلامية واليهودية واليونانية وله قسمه الخاص الذي وضعه على هيئة دعاء: (ربي املأ نفسي حباً عميقاً لفن الطب ولجميع الناس ولا تسمح بأن يلوث التعطش للربح والمجد الباطل فني، فإن أعداء الحق والظالمين يستطيعون بسهولة أن يقصونني عن إنجاز واجبي الشريف في صنع الخير والصلاح نحو عبادك).

(ربي اسند قلبي ليكون أهلاً لخدمة الفقير والغني على السواء وخدمة الصديق والعدو والصالح والشرير على السواء).

(ربي دعني أن لا أرى في المريض إلا آلآمه وأوجاعه ولتبقى نفسي

(١) السلوك المهني للأطباء - ص ١٠٧ - ١٠٨.

صافية نقية قرب سريره، وأبعد عني سيء الأفكار وخبيثها عند معالجته لأبذل خالص علمي وفني).

(إن خدمة البشر المتألم والمحافظة على حياته لأمر سام عظيم).

(ربي هب المرضى الثقة بي وبفني واجعلهم يتبعون أوامري ووصاياي، أبعد عن سريرهم المشعوذين والدجالين، أبعد عنهم أقاربهم الذين يبذلون لهم النصائح السقيمة والخطرة، وإذا رماني الجهلاء بسهام انتقاداتهم الطائشة فاجعل يا ربي تعلقي بفن الطب ترساً لي يقيني هجماتهم الجارحة لأبقى أميناً على خدمة الحق ومحافظة شرفي وشرف الطب ضدهم).

(ربي هبني الأناة والصبر وطيب النفس وسعة الصدر عند سرير المرضى الجهلاء والعنودين).

(امنحني القناعة في كل شيء إلا القناعة في حب الطب وتقدمه).

(أبعد عني فكرة التفاخر والتباهي بقدرتي على إنجاز كل شيء والنجاح في كل أمر).

(هبني القوة والإرادة واجعل مني أهلاً لتوسيع معارفي الفنية لأتمكن بها من اكتشاف الأمور الهامة في خدمة فن الطب والتي لم استطع اكتشافها في الماضي أو لم تخطر على بالي قبل هذا).

ومنذ وقت قريب أقرّ المؤتمر العالمي الأول للطب الإسلامي بمناسبة مطلع القرن الهجري الخامس عشر المنعقد في الكويت بتاريخ ٦ - ١٠ ربيع الأول سنة ١٤٠١هـ الموافق ١٢ - ١٦ يناير سنة ١٩٨١م أقرّ القسم الطبي التالي:

قسم الطبيب

(بسم الله الرحمن الرحيم.

* أقسم بالله العظيم *

أن أراقب الله في مهنتي. وأن أصون حياة الإنسان في كافة ادوارها، في كل الظروف والأحوال، باذلاً وسعي في استنقاذها من الموت والمرض والألم والقلق. وأن أحفظ للناس كرامتهم، وأستر عورتهم، وأكتم سرهم. وأن أكون على الدوام من وسائل رحمة الله باذلاً رعايتي الطبية للقريب والبعيد، الصالح والخاطىء، والصديق والعدو. وأن أثابر على طلب العلم، أسخره لنفع الإنسان لا لأذاه. وأن أوقر من علمني وأعلم من يصغرني وأكون أخاً لكل زميل في المهنة الطبية في نطاق من البر والتقوى. وأن تكون حياتي مصداق إيماني في سري وعلانيتي نقياً مما يشيبني أمام الله ورسوله والمؤمنين . والله على ما أقول شهيد).

الفصل الخامس

شعار الطبيب

لقد اتخذ أفراد نقابات وجمعيات الأطباء علامة مميزة لهم لتمييز أنفسهم عن غيرهم وهي عصا تلتف حولها حية شعاراً لهم، واحياناً حيتان.

وتلك الفكرة ترجع لرمز تاريخي في عهد سحيق وبعيد في القـرون السالفة مستوحاة مما كان يتصوره الأقدمون رمزاً لآلهة الطب عندهم، لأن الأفاعي في بلاد اليونان ترمز إلى الحياة والشفاء والحكمة.

ويقال أن إله الطب في بابل عند العراقيين القدماء كان يسمى نينازو Ninazo ومعناه سيد الحكماء والأطباء وكان له ابن يدعى نينجيشزيدا Ningichzida الذي كان يرمز له بعصاً تلتف حولها حيتان وبعض الأحيان حية واحدة. وفيما بعد اتخذ الأطباء ذلك الرمز شعاراً لهم حتى عصرنا هذا كما يقول البعض . وذلك لأنه كان يعتقد أن الحية لا تموت ولكن تخلع جلدها كل سنة، وبذلك يعود الشباب لها.

أما اليونانيون القدماء فقد اتخذوا اسكليبيوس إله للطب، وكانوا يصورونه عاري الصدر، لابساً رداءً طويلاً ويمسك بيده عصاً أُلتفت حولها حية .

وتقول كاترين ب. شيبن Katherine B. Shippen في كتابها[1]، والذي

(١) رواد الطب Men of Medicine

ترجمه للعربية الدكتور م. عيسى (١٩٦٢م) تقول في ص ٢٧ ـ ٢٨: (وكان الإله اسقلييادس شاباً شهماً وسيم الطلعة ومحباً للسلام... وكانت تساعده في اعماله بعض الأفاعي التي يوجد منها في المعبد عدد لا بأس به والتي كانت تزحف من نائم إلى آخر لاعقة جراحه أو قروحه بألسنتها الشافية وكان المرضى يستقبلونها بسرور لأنهم كانوا متأكدين من مقدرتها على شفائهم). وجاء في ص ٢٤ من نفس المصدر: (لم يعرف تماماً حتى الآن كيف نشأت فكرة اقتران الأفاعي بشفاء المرضى. كل ما يعرف عنها أنها كانت تُذكر فيما يتعلق بفن الشفاء في بلاد بابل ومصر وفلسطين كما أنها ما زالت تمثّل على الصولجان والعصا التي هي رمز الطب في عصرنا الحاضر. أما في بلاد اليونان فكانت الأفاعي ترمز إلى الحياة والحكمة والشفاء وكان اليونانيون يحتفظون دائماً بعدد منها في معابد اسقلييادس).

ويقول ابن أبي أصيبعة في كتابه[1]: قال جالينوس وأما صورته (يعني اسقلييوس) فصورة رجل ملتح متزين بجمة (مجتمع شعر الرأس) ذات ذوائب... ويصور آخذاً بيده عصاً معوجة ذات شعب من شجرة الخطمي فيدل بذلك على أنه يمكن في صناعة الطب أن يبلغ بمن استعملها من السن أن يحتاج إلى عصا يتكىء عليها، أو لأن من أعطاه الله تعالى بعض العطايا يؤهل لإعطاء عصا بمنزلة ما وهب لايفاسطس وزوس وهرمس وبهذه العصا نجد زوس يقرأ عين من يحب من الناس فينبه بها أيضاً النيام. وأما تصويرهم تلك العصا من شجر الخطمي فلأنه يطرد وينفي كل مرض. قال حنين: (نبات الخطمي... علاجاً كثير المنافع) وقال جالينوس وأما اعوجاجها وكثرة شعبها فتدل على كثرة الأصناف والتفنن الموجود في صناعة الطب. ولن نجدهم أيضاً تركوا تلك العصا بغير زينة لكنهم صوروا عليها صورة حيوان طويل العمر، ملتف عليها وهو التنين. ويقرب هذا الحيوان من اسقلييوس

---

(١) طبقات الأطباء (ص ٣٤ ـ ٣٦).

لأسباب كثيرة أحدهما أنه حيوان حاد البصر، كثير السهر، لا ينام في وقت من الأوقات وقد ينبغي لمن قصد تعلم صناعة الطب أن لا يتشاغل عنها بالنوم ويكون في غاية الذكاء ليمكنه أن يتقدم فينذر بما هو حاضر، وبما من شأنه أن يحـدث. . . .

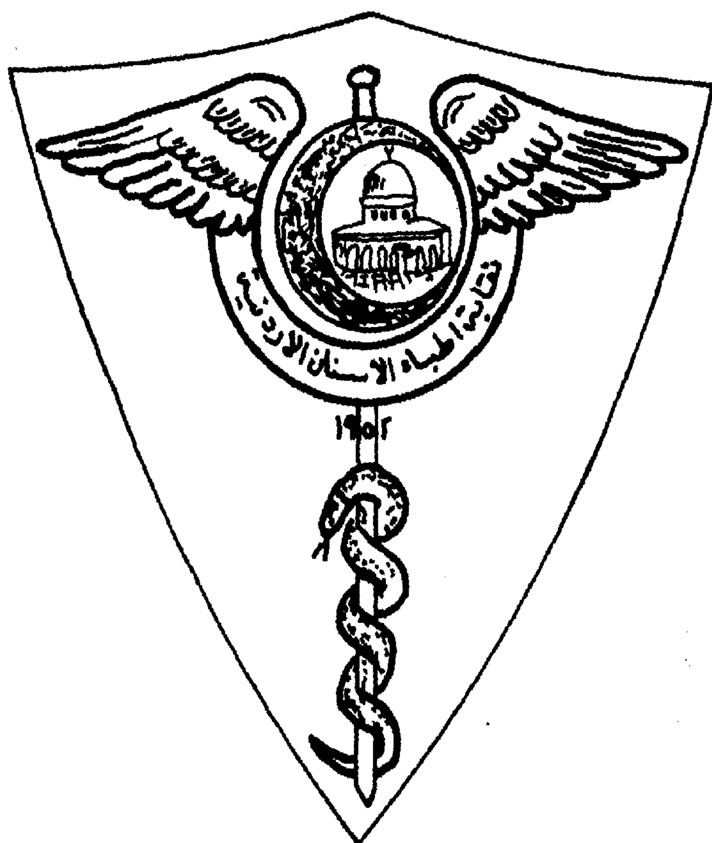
وقد يقال أيضاً في تصوير التنين على العصا الماسك لها اسقليبيوس قول آخر وهو هذا: قالوا هذا الحيوان، اعني التنين، طويل العمر جداً، حتى أن حياته يقال أنها الدهر كله وقد يمكن المستعملين لصناعة الطب أن تطول أعمارهم. . . فكما أن هذا الحيوان اعني التنين يسلخ عنه لباسه الذي يسميه اليونانيون الشيخوخة، كذلك أيضاً قد يمكن الناس باستعمال صناعة الطب إذا سلخوا عنهم الشيخوخة التي تفيدهم إياها الأمراض أن يستفيدوا الصحة. وإذا صوروا اسقليبيوس جُعل على رأسه إكليل متخذ من شجر الغار، لأن هذه الشجرة تذهب بالحزن ولهذا نجد هرمس إذا سمي المهيب كلل بمثل هذا الإكليل، فإن الأطباء ينبغي لهم أن يصرفوا عنهم الأحزان. كـذلك كلل اسقليبيوس بإكليل يذهب بالحزن، أو لأن الإكليل كان يعم صناعة الطب والكهانة رأوا أنه ينبغي أن يكون الإكليل الذي يتكلل به الأطباء والمتكهنون إكليلاً واحداً بعينه، أو لأن هذه الشجرة أيضاً فيها قوة تشفي الأمراض. . . وإذا صوروا ذلك التنين جعلوا بيده بيضة، يومون بذلك إلى أن هذا العالم كله يحتاج إلى الطب، ومثال الكل مثال البيضة. . .).

ويذكر ابن أبي أصيبعة في كتابه[1]: (طبقات الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقليبيوس. . . إن اسقليبيوس لما حصلت له معرفة صناعة الطب بالتجربة شرع في تعليمها لأولاده وأقاربه، عهد إليهم ألا يعلموا هذه الصناعة لأحـد إلا لأولادهم ولمن هو من نسل اسقليبيوس لا غير. .).

---

(١) طبقات الأطباء (ص ٣٩).

والتنين عبارة عن حيوان يجمع بين الزواحف والطير ويقال أن لـه مخالب أسد وأجنحة نسر وذنب أفعى، وترجع هذه الصورة للعصر البابلي عنـد العراقيين القدماء. وجاء في الموسوعة العربية الميسرة الطبعة الثانية ـ ص ٢٩٦ : (بابل: امبراطورية قديمة ببلاد ما بين النهرين، يطلق الاسم أحياناً عـلى الحضارة التي قامت بجنوب بلاد ما بين النهرين وتشمل الدويلات التي أنشأها حكام لجس، وآكاد، وارك، وأور في الألف الثالثة قبل الميلاد، قامت هذه الإمبراطورية بعد سقوط سومر وقيام الدويلات السـامية عـلى أثر انتصـار سرجون. يطلق الاسم في أضيق الحدود على الدولة التي أنشأها حمرابي حوالى ٢١٠٠ ق. م واتخذ بابل عاصمة لها ووضع شرائع قانونية، والكتابة البابلية المسمارية التي أخذت عن السومريين والديانة البابلية وعاداتها الموروثة عن الحضارة السومرية ترك كل هذا أثراً في حضارة الأشوريين وشارك في تاريخ الشرق الأدنى وغرب أوروبا. . . استولى الحيثيون على بابل في القرن ١٨ ق. م).



شعار طبيب الأسنان في الأردن.

الفصل السادس

صفات الطبيب وواجباته

إن أهمّ ما يتصف به المرء سواء كان إنساناً عادياً أو طبيباً نظامياً هي الأخلاق الحميدة.

لذلك يجب على كل شخص مهما كانت عظمته ومهنته أن يتحلى بتلك الصفة المثالية. فالله سبحانه وتعالى وصف نبيّه خير المرسلين صلوات الله وسلامه عليه بقوله تعالى في قرآنه المجيد ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾[1]

وقال صلوات الله وسلامه عليه: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فالدين الإسلامي الحنيف يأمر بالتحلي بالأخلاق الحسنة والفضائل الكريمة لكل إنسان، ومن باب أولى أن يتحلى بتلك الصفات الطيبة الطبيب الذي بين يديه حياة مريضه وهذا ما حث عليه أطباء المسلمين والعرب الذين رفعوا كرامة الطب إلى أعلى المستويات وخصوصاً في حقل تنظيم مهنة الطب والصيدلة بالقوانين التي أصدروها والتعليمات التي شرعوها فيقول الدكتور عبد العظيم الديب في كتابه[2]: وقد حدد علي بن رضوان ـ أحد كبار الأطباء ـ الصفات التي يجب أن تتوافر في الطبيب بما يلي:

١ ـ أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء حسن الذكاء، جيد الرواية، خير الطبع.

---

(١) القلم: ٤.

(٢) أبو القاسم الزهراوي (ص ٢٢ ـ ٢٣).

٢ ـ أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة نظيف البدن والثوب.

٣ ـ أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء عن أمراضهم.

٤ ـ أن تكون رغبته في ابراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء.

٥ ـ أن يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل المرضى.

٦ ـ أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح لا يصف دواء قتالاً ولا يعمله ولا دواء يسقط الجنين يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه.

وبهذا الصدد يقول الأستاذ الدكتور أمين أسعد خير الله ـ أستاذ الجراحة في الجامعة الأميركية في كتابه[1]: (رفع أطباء العرب كرامة الطب إلى مستوى عالٍ فالأطباء النسطوريين كانوا على جانب عظيم من حسن الأخلاق والكرامة والرزانة حتى احترمهم الخلفاء انفسهم. وقد كان الخلفاء يحاذرون أن يرشي الحكام النصارى هؤلاء الأطباء ليسمّوهم. ولكنهم برهنوا على أمانتهم لقسمهم ومهنتهم وأصبحت كرامة الأطباء العرب محترمة في القرون الوسطى.

وقد رفع الأطباء العرب مستوى الجراحة والجرّاحين بينما كانت أوروبا تنظر إلى الجرّاحين كجزارين وللجراحة كمهنة سافلة وفي الوقت الذي كانت الجامعات الأوروبية تنظر إلى الجراحة كصناعة منحطة وكان البابارات يضطرون من وقت إلى آخر إلى إصدار منشورات لإيقاف الجرّاحين كان أطباءُ العرب اصدقاء الخلفاء ومستشاريهم حتى تقلد بعضهم الوزارات ورخص لهم بالتوقيع على اوراق الدولة نظراً إلى نزاهتهم وعفتهم التي جعلتهم يدخلون على حريم الخلفاء ومعالجتهنّ.

---

(١) الطب العربي ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

وقد كتب العرب عدة تآليف عن الآداب الطبية وواجبات الأطباء وحافظوا على تعاليم أبي الطب أبقراط وأدخلوا عليها بعض التحسينات. فابن رضوان عميد أطباء القاهرة علق على تعاليم أبقراط واشترط على الطبيب الشروط السبعة الآتية:

الطبيب على رأي أبقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال:

الأولى : أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء حسن الذكاء جيد الروية عاقلاً ذكوراً خير الطبع.

الثانية : أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب.

الثالثة : أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من امراضهم.

الرابعة : أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء.

الخامسة : أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس.

السادسة : أن يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شيءٌ من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأعلّاء فضلاً عن أن يتعرض إلى شيء منها.

السابعة : أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والاموال. ولا يصف دواءً قتّالاً ولا يعلمه. ولا دواء يسقط الأجنة. يعالج عدوّه بنية صادقة كما يعالج حبيبه[1].

النساء في الطب

إن اعتقاد الأوروبيين بأن النساء المسلمات لسنَ سوى قطيع من الماشية

(١) أصيبعة جزء٢ وجه ١٠٢ ـ ١٠٣.

في يدي سيدهنَّ الرجل بعيد كل البعد عن الحقيقة فقد اشتركت المرأة اشتراكاً فعلياً في حياة القبيلة والأمة ونبغ بين النساء كثيرات من المحاربات والشاعرات والطبيبات واشتركنَ في المجالس الوطنية وكنَّ في بعض الأحيان القوَّة المشيرة وراء العرش.

وقد امتاز بعض النساء في الطب؛ فشقيقة الحافظ بن زهر وبناتها كنَّ يعرفنَ الطب لا سيما امراض النساء والأطفال وكنَّ الوحيدات المسموح لهنَّ بمعالجة حرم المنصور في الأندلس. وفي أيام الأمويين اشتهرت زينب طبيبة بني أود بمعارفها في طب العيون وفيها قال الشاعر:

أمخترمي ريب المنون ولم ازر طبيب بني أود على النأي زينبا

وكانت النساء ترافقنَ الرجال أثناء الحروب لتشجيعهم وتمريض جرحاهم وكانت النساء تقوم بأعمال التوليد وكن يستشرن الأطباء الرجال متى استعصت عليهن الحالة.

إن مهنة الطب رسالة كريمة شريفة واعتبرها المصريون القدماء نوعاً من العبادات فكان الأطباء من الكهنة، ومدارس الطب محصورة في المعابد.

والطب يجب أن يكون رسالة قبل أن يكون مهنة. رسالة تتصف بالصفات الحميدة السامية لأنها تتعامل مع الإنسان الذي كرَّمه الله فخلقه في أحسن تقويم ووهب له من روحه نفخة وخلق له العقل المفكر المدبر.

لذلك يجب أن يتحلى الطبيب بالحكمة والعقل والأخلاق الفاضلة ويبذل كل ما في وسعه لراحة المريض وتخفيف الآلام عنه وجلب الشفاء له بإذن الله ويجب أن يحصل على ثقة المريض ويبتعد عن الاستغلال والمتاجرة وليكن متفانياً في خدمة مريضه كما كان اجدادنا الأطباء أمثال الرازي وابن سينا والكندي الذي قال: (ليتق الله تعالى المطبب، ولا يخاطر فليس عن الأنفس عوض، فكما يجب أن يقال إنه كان سبب عافية المريض وبرئه،

وكذلك يحذر أن يقال إنه كان سبب تلفه وموته» «يعقوب بن إسحاق الكندي» نقلاً عن كتاب السلوك المهني للأطباء[1].

ويجب على الطبيب أن يقتدي بسلفه الطيبين أمثال الرازي حيث قال: (يجب على الطبيب أن يواسي ويشجع المريض حتى ولو كان مشرفاً على الموت لأن قوة الإنسان مستمدة من روحه المعنوية). (إذا ما عالجت مريضاً فابدأ بتقوية حيويته وحالته العقلية لأنك إن فعلت ذلك سهل عليك الباقي). (الرازي)[2]. وقال الرازي: (إذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً فما أقل لبث العلّة)[3]. فعلى الطبيب أن يحافظ على حياة مريضه وبذل الجهد لشفائه ودرء الآلام عنه ويشجعه ويواسيه لتطمئن نفسه وتقوى ثقته بنفسه ويشرح له طريق الوقاية من الأمراض واستعمال الأدوية وتثقيفه طبياً بقدر المستطاع لكي يسمو برسالة الطب إلى أرفع المستويات كما فعل أطباؤنا السالفون من العرب والمسلمين حيث رفعوا كرامة الطب فكان هدفهم الأسمى التضحية بكل شيء في سبيل معالجة وشفاء مرضاهم وكسب ثقتهم فهاكم ابن سينا الشيخ الرئيس يقول لمريضه[4]: (انظر أنا وأنت والمرض ثلاثة، فإذا عاونتني ووقفت بجانبي فنصبح اثنين والمرض وحده فنتغلب ونقهره، أما إذا وقفت مع المرض فعندئذ تصبحان اثنين وأكون وحدي وتتغلبان علي ولا استطيع شفاءك).

وكانت مخافة الله في صدورهم فإليكم ما يوصي به الشيخ الرئيس ابن سينا لصديقه أبو سعيد ابن أبي الخير الصوفي[5]: (ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره، وباطن كل اعتبار وظاهره، ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه،

---

(١) تأليف الحكيم راجي عبّاس التكريتي ـ دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ـ الطبعة الثانية ص ١٤١.

(٢) نقلاً عن المصدر السابق ص ١٩٧.

(٣) نقلاً عن المصدر السابق ص ٢٠٣.

(٤) نقلاً عن كتاب (السلوك المهني للأطباء) تأليف الحكيم راجي عباس التكريتي ص ٢٠٥.

(٥) نقلاً عن كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ص ٤٤٥.

وقدمها موقوفة على المثول بين يديه؛ مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى. وإذا انحط إلى قراره، فلينزه الله تعالى في آثاره، فإنه باطن ظاهر تجلى لكل شيء بكل شيء).

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وكانت النية الخالصة في قلوب الأطباء المسلمين.. فإليكم ما يقوله الشيخ الرئيس ابن سينا: (... وخير العمل ما صدر عن خالص نية، وخير النية ما ينفرج عن جناب علم، والحكمة أم الفضائل..)

ويجب على الطبيب أن يراقب الله في مهنته ويعرفه حق معرفته وبهذا الصدد يقول الشيخ الرئيس ابن سينا: (... ومعرفة الله أول الأوائل، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾. ثم يقبل على هذه النفس المزينة بكمالها الذاتي فيحرسها عن التلطخ بما يشينها من الهيئآت الانقيادية للنفوس الموادية التي إذا بقيت في النفوس المزينة كان حالها عند الانفصال كحالها عند الاتصال...).

وعلى الطبيب أن يكون مؤمناً تقياً ورعاً يقوم بواجباته الدينية خير قيام فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والعبادات تهذب النفس ووشاج من كل مكروه وبهذا الصدد يقول الشيخ الرئيس كما جاء في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء[١]: (... وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة وأمثل السكنات الصيام، وأنفع البر الصدقة وأزكى السر الاحتمال، وأبطل السهي المراءاة ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت إلى قيل وقال، ومناقشة وجدال، وانفعلت بحال من الأحوال.... ثم لا يقصر في الأوضاع الشرعية ويعظم السنن الإلّهية والمواظبة على التعبدات ويكون دوام عمره إذا خلا وخلص من المعاشرين تطربه الزينة في النفس والفكرة في الملك الأول وملكه... عاهد

---

(١) تأليف الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة (ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦).

الله أنه يسير بهذه السيرة ويدين بهذه الديانة والله ولي الذين آمنوا وهو حسبنا ونعم الوكيل).

ويجب أن يكون الصدق شعار كل طبيب وهذا ما قاله الشيخ الرئيس: (. . . وكذلك يهجر الكذب قولاً وتخيلاً حتى تحدث للنفس هيئة صدوقة، فتصدق الاحلام والرؤيا. . .).

ويجب على الطبيب أن يتحمل مسؤولية ما يحدث لمريضه تمشياً مع قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حيث قال: من تطبب ولم يعرف عنه طب فهو ضامن).

وعلى الطبيب أن يكون حسن الأخلاق فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول: (خياركم احسنكم أخلاقاً).

وعليه أن يختار البطانة الصالحة والأصدقاء الطيبين فيقـول الرسـول صلوات الله وسلامه عليه: (المرء على دين خليله. فلينظر المـرء من يخالل) وقال عليه الصلاة والسلام: (تخيّروا في نطفكم فإن العرق دساس) فاختيار الزوجة الصالحة ذات الأخلاق الطيبة خير معين لكل إنسان. فالوراثة تلعب دوراً هاماً بصفات الشخص وأخلاقه، والتربية الصالحة تؤثر على من يحيط بها. والصفات تنتقل من الاجداد للأحفاد ومن الآباء للأبناء. فالوراثة تؤثر على سلوك الفرد وبعض صفاته الجسمانية من طول ولون. . . إلخ. وكذلك تؤثر على عقليته من ذكاء وغباء.

ومن واجبات الطبيب ألا يرهق المريض بالمصاريف والنفقـات الغير ضرورية كإجراء الفحوصات الغير لازمة له كتحاليل وصور أشعة وما يشابه ذلك وحافزه أن يقال إنه مهتم بمريضه فتنطلق الألسنة تلفظاً بمهارته. أو أن يكون كل همه التجارة وجمع الفلوس.

ومن واجبات الطبيب أن يهتم بمريضه مخلصاً له النصيحة بدون إضرار

بالمريض أو بغيره، وبقلبه رحمة وبلسانه محبة ومواساة، مشعر المريض بذلك فتصبح بينهما ثقة ومودة تساعدهما على التغلب على المرض.

ومن واجبات الطبيب أن يحافظ على سر مريضه إلا إذا كان هنالك ضرر يلحق به أو بغيره كإصابة المريض بمرض معد يلحق الضرر بمن يخالطه فعليه نصحه.

ومن واجبات الطبيب أن يشد أزر أصدقائه وزملائه الأطباء ويقوي الثقة والعلاقة بينه وبينهم وتصبح مبنية على روح المحبة والتعاون على الخير والصداقة الوثيقة الحسنة والألفة والمودة الخالية من الأنانية وكل منفعة ذاتية.

ومن الواجبات أيضاً أن يعامل ذويه ومرضاه معاملة صادقة مخلصاً للجميع النصيحة.

كذلك يجب على الطبيب ألا يتحمل ما لا طاقة له به من كل الوجوه، بـألّا يرهق نفسه فلجسده عليه حق وكذلك لأصدقائه وزملائه وذويه لهم عليه حق.

وعلى الطبيب أن يلتزم بعهوده ومواعيده وأن يلبي طلب المستغيث في كل زمان ومكان. وأن يتعاون مع الجميع على البر والتقوى وعمل الخير والمعروف ويبتعد عن الإثم والمعصية والعدوان والملذات السيئة فهاكم ابن سينا الشيخ الرئيس يقول: (وأما اللذات فيستعملها على إصلاح الطبيعة وإبقاء الشخص أو النوع. أما المشروب فإنه يهجر شربه تلهياً. . . ويعاشر كل فوقه بعادته ورسمه ويسمح بالمقدور والتقدير من المال، ويركب لمساعدة الناس كثيراً).

ويجب على الطبيب أن يثابر على طلب العلم دوماً حتى إلى لحده، ويسخر العلم الذي يعرفه لمنفعة الإنسان لا لأذاه. ويحترم من علمه، ويعلم من سعى إليه طالباً العلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال: (من سُئِل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار) أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما. وأخرج مسلم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن أدعية لا يُستجاب لها).. وعن عقبة بن مسعود البدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله) رواه مسلم (نقلاً عن كتاب فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب للأستاذ الشيخ علوي السيد عباس). وقال تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[3]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة)[4]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية. أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[5].

وجاء في كتاب المختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف اختيار وتعليق عبد البديع صقر عن أبي إمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي)[6]. وعن أبي

---

(١) طه: ١١٤.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) أخرجه مسلم في حديث (١:١٠٤، ١) (نقلاً عن كتاب الترغيب والترهيب انتقاء شهاب الدين أحمد بن علي بن حجّر العسقلاني صححه وضبطه محمد المجدوب.

(٥) أخرجه مسلم وابن ماجه وابن خزيمة (نقلاً عن المصدر السابق).

(٦) رواه الترمذي.

إمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في حجرها وحتى الحوت في البحر ليُصلون على معلم الناس الخير)[1]. وعن عبد الله بن مسعود قال: (يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم. . .)[2]. وعن ابن عباس قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فجعل يثني عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حكماً)[3].

ويجب على الطبيب أن يكون عالماً بالطب له دراية ومعرفة تخوله أن يحمل أمانة الطب وأن يكون صريحاً مع نفسه، فإن لم يكن باستطاعته معالجة مريضه لأنه محتاج لإحالته إلى طبيب الاختصاص فلا يتردد الطبيب العام المعالج لإحالة المريض إلى الأطباء الاختصاصيين حفاظاً على حماية مريضه وحرصاً على شفائه. وبهذا الصدد يقول الرازي الطبيب العالم: (الأطباء الأميون والمقلدون، والأحداث الذين لا تجربة لهم، ومن قلّت عنايته وكثرت شهواته، قتالون). نقلاً عن كتاب طبقات الأطباء[4]. وقال الرازي: (متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل)[5]. وقال الرازي: (ينبغي أن تكون حالة الطبيب معتدلة لا مقبلاً على الدنيا كلية ولا معرضاً عن الآخرة كلية فيكون بين الرغبة والرهبة)[6]. وقال الرازي: (الحقيقة في الطب غاية لا تدرك، والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم برأيه خطر) وقال الرازي: (ما اجتمع الأطباء عليه وشهد عليه القياس، وعضدته التجربة، فليكن أمامك وبالضد)[7].

(١) رواه الترمذي.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه أبو داود وابن حبان.
(٤) لابن أبي أصيبعة ص ٤٢١.
(٥) المصدر السابق ص ٤٢١.
(٦) المصدر السابق ص ٤٢١.
(٧) المصدر السابق ص ٤٢١.

الفصل السابع

رائدات الطب المسلمات

١ ـ أم عطية الأنصارية
٢ ـ الشفاء بنت عبد الله القرشية
٣ ـ زينب طبيبة بني أود
٤ ـ أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي
٥ ـ طبيبات بني زهر الأندلسيات
٦ ـ بنت دهن اللوز الدمشقية
٧ ـ بنت شهاب الدين ابن الصائغ

أم عَطِيَّة الأنْصَارِيَّة

الصحابية التي كانت جرّاحة ماهرة للغاية ويقال إنها (نُسَيْبَة بنت الحارث الأنصارية)[1]. (كانت أم عطية الأنصارية مشهورة كطبيبة في الجاهلية، ولكنها دخلت في الإسلام، فغزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتداوي الجرحى. ونالت شهرة عظيمة في الجاهلية والإسلام بالجراحة، فكانت جرّاحة ماهرة للغاية) هذا ما قاله الدكتور علي عبدالله الدّفاع- عميد كلية العلوم بجامعة البترول والمعادن - الظهران - المملكة العربية السعودية - في كتابه[2].

أما في ص ٢٤ فيقول المصدر السابق: (ولم يقتصر النبوغ في حقل الطب على الرجال، بل كان للنساء دور كبير فقد نبغ عدد ليس بالقليل كأم عطية الأنصارية والشَّفَّاء بنت عبدالله ورُفيدة وأخت الحفيد بن زهر وابنتيها اللتين نبغتا في طب أمراض النساء) ويقول أحمد شوكت الشطي في كتابه[3]: (لم تكن المرأة العربية أيام نهضة العرب عنصراً غير فعّال في المجتمع، ميالة إلى الراحة والدَّعة واللهو والترف، كما يريد البعض أن يصورها زوراً وبهتاناً، بل كانت سبّاقة في ميدان العمل الاجتماعي والفردي فضلاً عن أنها كانت

---

(١) أعلام النساء - تأليف عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة الجزء الخامس ص ١٧١ والجزء الثالث ص ٢٨٨.

(٢) أعلام العرب والمسلمين في الطب - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - هامش ص ٢٤.

(٣) تاريخ الطب وآدابه واعلامه.

من أحسن ربات البيوت تدبيراً لمنزلها وعناية بأولادها وسعياً وراء تأمين راحة زوجها، وكانت إلى جانب ذلك عاملة تكسب معاشها إذا أحوجها الأمر بعمل شريف يدر عليها من الرزق ما يمكنها من الاضطلاع بأمومتها على خير وجه وأقوم سبيل. لقد كان إسعاف الجرحى من اختصاص فُضليات النساء، يتخذنه قياماً بالواجب وحباً في التضحية ومشاركة في الجهاد، وهنّ يسرن إلى المعارك مع الرجال جنباً إلى جنب. . .)

وجاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات في الإسلام) تأليف الدكتور أحمد عيسى بك[1]: (أم عطية الأنصارية التي أمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تغسل ابنته زينب، لها أحاديث. روى عنها محمد بن سيرين وأخته حَفْصة وأم شُراحيل وعلي بن الأحمر وعبد الملك بن عمير وهشام بن حسّان عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت: (غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم في رحالهم وأُداوي الجرحى وأقوم على المرضى).

أما كتاب الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب[2]: (. . . وكانت نساء المدينة يشاركن الرجال في الغزوات). وقد جاء في تاريخ الإسلام للذهبي أن أم عطية الأنصارية قالت (غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم في رحالهم وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى).

ويقول الأستاذ الدكتور كمال السامرائي (رئيس قسم الأمراض النسائية في كلية طب بغداد) في كتابه[3]: (. . . وكان ختان الصبيان مألوفاً قبل

(١) المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٩م ـ مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي بدمشق ـ ص ٨ ـ ٩.
(٢) تأليف مجموعة من الكتاب والأطباء بإشراف الدكتور محمد كامل حسين ذكر في ص ٢٣٤.
(٣) الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث ص ٣٣.

الإسلام ويروى أن الصحابية الجليلة أم عطية الأنصارية ظلت تمارس هذه العملية بعلم من النبي محمد وأنه صلوات الله عليه قدم لها النصح في هذا الموضوع[1].

وروى الإمام مسلم في صحيحه الجزء الثاني ص ١١٨ عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبد الرحيم بن سليمان عن هشام عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية الأنصارية قالت (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى).

وقد جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد[2]: (أمّ عطيـة الأنصارية. أسلمت وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزت معه وروت عنه)..

أخبرنا يزيد بن هارون وإسحاق بن يوسف الأزرق ومحمد بن عبدالله الأنصاري قالوا: حدّثنا هشام بن حسّان عن حفصة بنت سيرين عن أمّ عطية قالت: (غزوت مع رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم في رحالهم وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى).

أخبرنا أبو معاوية الضرير قال: حدّثنا عاصم الأحول عن حفصة عن أمّ عطية قال: لما ماتت زينب بنت رسول الله، صلّى الله عليه وسلم قال لنا النبي، صلى الله عليه وسلم: اغسلنها وتراً ثلاثاً أو خمساً واجعلن في الخامسة كافوراً أو شيئاً من الكافور، وإذا غسّلتنّها فاعلمني، فلما غسّلناها أعلمناه فأعطانا حقوة فقال: أشعرنها إياه.

أخبرنا يزيد بن هارون وإسحاق الأزرق وروح بن عبادة عن هشام ابن

---

(١) ابن الأخوة ـ معالم القربة في أحكام الحسبة (كمبرج) ص ١٦٤.
(٢) دار صادر ـ بيروت ـ المجلد الثامن ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

حسّان عن حفصة قالت: حدّثتني أمّ عطية قالت: توفيت إحدى بنات رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، فأمرنا رسول الله فقال: اغسلنها وتراً ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتنّ ذلك، واغسلنها بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور، وإذا فرغتنّ فآذنني. قالت: فآذّناه فألقى إلينا حقوة أو حقوا فقال: أشعرنها هذا. قال يزيد في حديثه: قالت: فضفّرنا شعرها ثلاثة أثلاث قَرْنَيْها وناصيتها وألقينا خلفها مقدمها قال إسحاق: حقوة: إزاره.

أخبرنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم النبيل عن أبي الجرّاح وجابر بن صُبْح عن أمّ شراحيل مولاة أمّ عطية قالت: كان عليّ بن أبي طالب يقيل عند أمّ عطيّة. قالت فكنت أنتف إبطه بورسه.

قال محمد بن عمر: شهدت أمّ عطيّة خيبر مع رسول الله. انتهى.

وجاء في كتاب أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام تأليف عمر رضا كحالة[1]: (نُسَيْبَة بنت الحارث الأنصارية) (ويقال نسيبة بنت كعب وهي أم عطية الأنصارية) من فواضل نساء الصحابة كانت تغزو كثيراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمرض المرضى وتداوي الجرحى وشهدت غسل ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وكان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميّت، وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر أربعين حديثاً اتفقا على ستة وللبخاري حديث ولمسلم آخر. وروى عنها أنس ابن مالك ومحمد بن سيرين وعبد الملك بن عمير وحفصة بنت سيرين وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية وعلي بن الأقمر وأم شراحيل. «الاستيعاب لابن عبد البر. التذهيب للذهبي (مخطوط). أسد الغابة لابن

(١) مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - الجزء الخامس ص ١٧١.

الأثير، تهذيب التهذيب لابن حجر. الكمال في معرفة الرجال لعبد الغني المقدسي (مخطوط) مطالع الأنوار للكازروني (مخطوط). الإصابة لابن حجر. ذكر رجال الصحيحين لابن طاهر (مخطوط). سير أعلام النبلاء للذهبي (مخطوط) .

الشِّفاء بنت عبدالله القُرشيّة

الاخصائية في علاج القرحات الجلدية (النملة)

صحابية جليلة واسمها كما جاء في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة تأليف بن حجَر العسقلاني(١): (الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس بن خلف ابن شداد بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشية العدوية) ولم يعرف تاريخ ميلادها ولكنها ولدت بالجاهلية وتوفيت سنة ٢٠هـ الموافقة لعام ٦٤٠م كتاب الأعلام(٢): وقيل إن اسمها ليلى ولقبها الشفاء وقد روت اثني عشر حديثاً وتدعى أم سليمان وهي من فضليات النساء ذات عقل وفضل ورأي سديد. وقد أسلمت قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد هاجرت إلى المدينة المنورة وكانت من المهاجرات الأول: وكان عمر بن الخطاب يقدمها في الرأي ويرضاها ويفضلها وربما ولاها شيئا من أمر السوق. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيها ويقيل عندها في بيتها (نقلاً عن كتاب أعلام النساء الجزء الثاني(٣)): كانت الشفاء تقرأ وتعرف الكتابة وهي في العصر الجاهلي وكانت تشتغل بالرّقى وعندما أسلمت طلب منها الرسول صلى الله عليه وسلم أن تعلّم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد عائشة وكانت قبله تحت خنيس بن

---

(١) دار صادر ـ الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ ـ مطبعة السعادة بمصر ـ الجزء الرابع ص ٣٤١.
(٢) تأليف خير الدين الزركلي الجزء الثالث ص ٢٤٦.
(٣) الطبعة الرابعة ـ تأليف عمر رضا كحالة ص ٣٠٠.

حذافة السهمي الذي توفي عنها من جراحات أصابته ببدر وقيل بأحد. فعلمت حفصة أمّ المؤمنين الكتابة ورقية النمل (النملة قروح تخرج في الجنب) وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب أعلام النساء(1): (الشفاء بنت عبدالله. . .) قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (علمي حفصة رقية النمل كما علمتيها الكتابة) وأقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم داراً عند الكحالين فنزلتها مع ابنها. وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب. وروى عنها ابنها سليمان بن أبي خيثمة وإبنا إبنها أبو بكر وعثمان إبنا سليمان بن أبي خيثمة ومولاها أبو إسحاق وحفصة أم المؤمنين وروى لها أبو داود وتوفيت سنة ٢٠هـ).

وجاء في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة(2): (. . . وأخرج ابن منده حديث رقية النملة من طريق الثوري عن ابن المنكدر عن أبي بكر بن سليمان ابن أبي حثمة عن حفصة أن امرأة من قريش يقال لها الشفاء كانت ترقى من النملة فقال النبي صلى الله عليه وسلم علميها حفصة. . . وأخرجه ابن منده وأبو نعيم مطولاً من طريق عثمان بن عمرو بن عثمان بن سليمان بن أبي حثمة عن أبيه عثمان عن الشفاء أنها كانت ترقى في الجاهلية وأنها لما هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته في مكة قبل أن يخرج فقدمت عليه فقالت يا رسول الله إني قد كنت أرقى برقى في الجاهلية فقد أردت أن أعرضها عليك قال فاعرضيها قالت فعرضتها عليه وكانت ترقي من النملة فقال أرقي بها وعلميها حفصة إلى هنا رواية ابن مندة وزاد أبو نعيم: باسم الله الذي لا يضر أحداً اكشف الباس رب الناس قال ترقي بها على عود كركم سبع مرات وتضعه مكاناً نظيفاً ثم تدلكه على حجر بخلّ خمر مصفى

(1) تأليف عمر رضا كحالة الجزء الثاني - الطبعة الرابعة - ص ٣٠٠ - ٣٠١.
(2) تأليف بن حجَر العسقلاني - دار صادر - الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ - مطبعة السعادة بمصر - الجزء الرابع ص ٣٤٢.

ثم تطليه على النملة وأخرجه أبو نعيم عن الطبراني من طريق صالح بن كيسان عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة أن الشفاء بنت عبدالله قالت دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قاعدة عند حفصة فقال ما عليك أن تعلمي هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة. . .).

مما سبق ذكره نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمح للشفاء بنت عبدالله بمزاولة مهنة مداواة النملة وهي القروح بعد أن مارستها وعرضت عليه طريقة معالجتها للقروح فقد سمت باسم الله تعالى الذي لا يضر،ورجته بأن يزيل الباس ويكشف المرض وبعد ذلك استعملت الدواء الذي فيه شفاء القروح ألا وهو أن أخذت عوداً من الكركم ـ وهو نبات معمر اسمه العلمي كركوما لونجا وله ازهار صفراء وأصوله تستعمل تابلا وصبغاً والكركم فيه زيوت عطرية طيارة ويستعمل مطهراً للاستعمال الخارجي.

ثم دلكت عود الكركم على حجر بخلّ خمر مصفى فعلق على العود الدواء وطلته على القرحة.

إنه من المعروف جلياً أن هذا النوع من الرقى يختلف عن الرّقى الذي كان متبع في عصر الجاهلية فكانوا حينذاك يدعون لهم باسم شيطان أو ملك ويناجون الأرواح والجن ويتبعون طرقاً سحرية فيها شعوذة ودجل. ولكن الإسلام حارب هذا النوع من الرّقى وأمر بالتداوي وطلب المعونة والشفاء من الله وبهذا عالج الإسلامُ الروح والجسد. عالج الإنسان نفسانياً ومادياً وهذا ما يهمله الطب الحديث في أغلب الأحيان فينسى المداواة النفسية مع أن الطب يعترف أن الحالات النفسية كثيراً ما تسبب تقرحات وامراض جسمانية وفي الصحيحين عن عطاء، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أنزل الله من داء، إلا أنزل له شفاء) والحديث رواه أحمد والبخاري وابن ماجه وللحديث ألفاظ وطرق كثيرة تكلم عنها ابن حجر عند

شرحه وقد رمز له السيوطي بالحسن، الصحيح بشرح الفتح: ١٠: ١٣٤. المنتقى بشرح نيل الأوطار ٨: ٢٠٨. سنن ابن ماجه ٢: ١١٣٨. الجامع الصغير ٥: ٤٢٨.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال (كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت الأعراب. فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: نعم يا عبادَ الله، تداوَوْا: فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء. غير داء واحد. قالوا وما هو؟ قال الهرم) رواه أيضاً أبو داوود وابن ماجه والنسائي والبخاري وقال الترمذي حسن صحيح.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل لم يُنزلْ داء إلا أنزل له شفاء عَلِمَهُ مَنْ عَلِمه وجَهِلَه من جَهِلَه) رواه أحمد وابن حباه.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: من تطبّب ولم يُعلم منه طِبٌ فهو ضامن (فهو ضامن: أي مسؤول عن الضرر شرعاً) أخرجه أبو داوود.

كل هذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على الحث والسعي وطلب الطب والتداوي مع التسليم بأن الشفاء من الله تعالى. فيجب أن نرجوه لذلك ونطهر أنفسنا لتطمئن بذكر الله وهذا ما يحث عليه الإسلام وهذا هو العلاج الأمثل طلب الشفاء من الله مع استعمال الدواء والعلاج. علاج النفس والروح لجلب الطمأنينة وطرد الانفعالات النفسية. وعلاج مادي عضوي باستعمال الدواء الناجع مع مسؤولية الطبيب المعالج عن كل ضرر يحصل للمريض. هذا هو الطب الشرعي الإسلامي فبذكر الله تطمئن القلوب وترتاح النفس وتزول الاضطرابات النفسية فترجع هورمونات وكيماويات الجسم إلى حالاتها الطبيعية مما تساعد على الشفاء مع استعمال الدواء. فإن الله

سبحانه وتعالى هو الشافي والمعافي: ﴿... الذي خلقني فهو يهدين (٧٨) والذي هو يطعمني ويسقين (٧٩) وإذا مرضت فهو يشفين (٨٠) والذي يميتني ثم يحيين (٨١) والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين(٨٢)﴾[1] فتلاوة القرآن الكريم شفاء للصدور والنفوس وكذلك استعمال العلاج والدواء واجب فرضته الشريعة الإسلامية وهذا ما اتبعته الشفاء بنت عبدالله لعلاج القرحة وبهذا اتبعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لكل داء دواء، فإذا أُصيب دواءُ الداءِ برأ باذن الله عز وجل) رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن الزبير عن جابر بن عبدالله ورواه أحمد أيضاً وصححه السيوطي وأخرجه الحاكم.

علاوة على ذلك فلقد حارب الإسلام ما كان يفعله الجاهليون من تطبب فحرّم الإسلام التطيّر (التفاؤل والتشاؤم وأصله التفاؤل بالطير ثم استعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم) وكذلك حارب السحر الذي يزعم بخوارق العادات يقوم بها السحرة بخيط أو غيره يُرقى للمريض فيه فتسبب الشفاء أو القتل أو التفريق بين المرء وزوجته... إلخ. وحارب الإسلام التمائم (خرزة تعقد في العنق أو قلادة تعلق على الأولاد وأصحاب الآفة يتقون بها المرض والموت) وكذلك حارب الإسلام التنجيم (وهي أن ينسب للنجوم كل تأثير بالخير أو الشر أو المرض) وحارب الكهانة وهي ادعاء الغيب ومستقبل الإنسان وحارب العرافة وهي الاستدلال على الأمور الماضية أو الحاضرة أو المستقبلية. فورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) رواه أبو داود وأحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أي كلما توغل في هذا التنجيم كلما زاد في السحر والضلال.

وعن صفية بنت أبي عبيد عن إحدى زوجات النبي صلى الله عليه

---

(١) الشعراء ٧٨ ـ ٨٢.

وسلم قال (من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) رواه مسلم.

وعن عبد الرحمن بن عثمان: أن طبيباً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ضِفْدَع يجعلها في دواء فنهاه صلى الله عليه وسلم عن قتلها رواه أبو داود.

وعن زينب امرأة عبدالله بن مسعود أن عبدالله رأى في عنقي خيطاً. فقال: ما هذا؟ فقلت خيط رُقيَ لي فيه. قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: أنتم آل عبدالله لأغنياء عن الشرك. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الرّقى والتمائم والتّوَلَةَ شرك) فقلت لم تقول هكذا؟ لقد كانت عيني تُقْذَف، وكنت اختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقاها سكنت. فقال عبدالله. إنما ذلك عملُ الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رُقي كفّ عنها. إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اذهب البأس ربّ الناس. واشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً) رواه أبو داود.

وإذا تدبرنا ما فعلته الشفاء بنت عبدالله لمعالجة النملة (القرحة) في زمن الإسلام عندما أسلمت كان هو العمل الصحيح فطلبت الشفاء من الله عز وجل وكشف الباس وإزالة المرض بعد أن ذكرت اسمه وسَمَّت به ثم وضعت الدواء بعد أن دلكت عود الكركم على حجر بخلّ خمر مصفى وطلت القرحة به. والخل كما هو معروف مطهر خفيف ويستعمل تابلاً وهو سائل حامض يتكون من حامض الخليك والماء وينتج بفعل البكتريا على المحاليل المخففة من الكحول الأثيلي المستخرج في بادىء الأمر من عصير الفواكه كالعنب بتحويل سكر الغلوكوز الموجود في العنب بعمليات التخمير والعادة أن يصفى الخل ثم يبسطر وقد يعرقل التخمر الخلي بنمو (أم الخل) وهي كتلة لزجة من البكتريا المخمرة أو بثعبان الخل الطفيلي وهو دودة تشبه الخيط.

إن حامض الخليك Acetic Acid يوجد في العصير المتخمر للفواكه فعصير العنب عندما يتخمر يحتوي على حامض الخليك وعلى كحول أثيلي بتحويل الغلوكوز الموجود في عصير العنب إلى كحول وهذه الكحول توجد بمعدل مائة غرام في اللتر الواحد من عصير العنب المتخمر وكذلك يحتوي على ٨٥٠ غراماً ماءً و٤ غرامات ترترات حامض البوتاس و٨ غرامات غليسرين وسكر وديكسترين حوالي ١٦ غراماً ومواد آزوتية ومواد دهنية ومواد قابضة Astringents وعفص (تنين Tannic Acid) وحامض الخليك Acetic Acid وحامض البروبيونيك Propionic Acid وأملاح معدنية من فوسفات وسلفات وكلوريد (عن كتاب غذاؤك حياتك)[1].

أما أبو بكر محمد بن زكريا الرازي فيقول في كتابه (منافع الأغذية ودفع مضارها)[2] (. . . الخل يبرد البدن ويجففه. . .).

والكركم (Turmeric Curcuma) يعتبر من البهارات، وهو نبات معمر. واسمه العلمي كركوما لونجا Curcuma Longa. له أزهار صفراء. ويبلغ طول نبتة الكركم من ستين إلى مائة سنتيمترا (٢٤ ـ ٤٠ إنشاً). واوراقها عريضة بيضاوية الشكل. وتستعمل أصوله لأغراض شتى بعد تصنيعها، في الأدوية وصبغ الملابس والأخشاب، والتلوين، واكتساب نكهة طيبة في الأشربة والأطعمة، لاحتوائها على مواد ذات روائح عطرية طيبة، ومذاق حسن ونكهة زكية منعشة.

ولقد جاء في قاموس المورد[3]: (مسحوق جذور الكركم يتخذ تابلاً أو صبغاً أصفر أو منبهاً. . .).

---

(١) منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ـ تأليف الدكتور محمد علي الحاج ـ أستاذ علم التغذية وأمراض الأطفال في مدرسة التمريض الوطنية ببيروت ـ الطبعة الثانية ص ١٤٠.
(٢) طبع دار إحياء العلوم بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ـ ص ٢٠٣.
(٣) الطبعة الحادية عشر ص ٩٩٩.

أما الموسوعة العربية الميسرة[1]: (كركم: عشب معمر اسمه العلمي كركوما لونجا، يزرع في المناطق الإستوائية، لأصوله التي تستعمل تابلاً وصبغاً. ونورة النبات، ذات أزهار صفر).

وجاء في مصادر[2] أخرى ما موجزه: (الكركم: نبات يعيش في المناطق الإستوائية وخصوصاً في جنوب شرقي آسيا كالهند وهايتي ومالاجاشي والفلبين وكذلك في اليابان والصين. ويصدر بكميات كبيرة للولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا التي استوردته منذ القرون الوسطى بواسطة التجار العرب على شكل مسحوق أو جِذمار (ساق أرضية).

إن الجزء المستعمل من الكركم هو ساقه الأرضية الشبيهة بالجذر (الجُذمور أو الجِذمار) Rhizome وهو عادة متعرج وغير منتظم الشكل ويؤخذ الجذمور هذا من نبتة الكركم التي يصبح عمرها تسعة شهور، فيغسل الجذمور ويقشر ويجفف ثم يسحق.

والمسحوق ذو لون شديد الصفرة لوجود مادة ملونة تسمى Curcumin، وهو من المواد الرئيسية في البهار الهندي المسمى Curry.

ويستعمل الكركم لأغراض شتى كالأدوية وخصوصاً المستعملة في علاج المعدة والكلى والصفراء وكمطهر قوي خارجياً.

كذلك يستعمل في صباغة الملابس والأخشاب وصناعة العطور.

وتحتوي جذور الكركم على زيوت عطرية ذات طعم حراق ولاذع قليلاً، وصبغ يسمى Curcumin ونسبة عالية من النشا تبلغ حوالي ٣٠ ـ ٤٠٪.

ويذوب مسحوق الكركم في الكحول والدهنيات.

---

(١) فتقول في الطبعة الثانية ص ١٤٥٢.

(٢) كتاب The Oxford Book of Food Plants Aguide in Colour to Kitchen Herbs And Spices



نبات الكركم



نبات الكركم

فلقد أفلحت الشفاء بنت عبدالله عندما استعملت الدواء وذكرت اسم الله قبل استعماله في معالجة القرحة الجلدية. ونالت رضاء الله ورسوله عندما أعلنت إسلامها قبل الهجرة وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة[1]: (الشفاء بنت عبدالله... أسلمت الشفاء قبل الهجرة وهي من المهاجرات الأول وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل عندها في بيتها وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه فلم يزل ذلك عند ولدها حتى أخذه منهم مروان بن الحكم... عن الشفاء بنت عبدالله أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أسأله... فحضرت الصلاة... فخرجت فدخلت على ابنتي وهي تحت شرحبيل بن حسنة فوجدت شرحبيل في البيت فجعلت أقول قد حضرت الصلاة وأنت في البيت وجعلت ألومه فقال يا خالتي لا تلوميني فإنه كان لنا ثوب فاستعاره رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وجاء في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد[2]: (الشفاء بنت عبدالله... أمّها فاطمة بنت وهب بن عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم... أسلمت الشفاء قبل الهجرة وتزوجها أبو حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله ابن عويج بن عدي بن كعب فولدت له سليمان بن أبي حثمة وولدت أيضاً لمرزوق بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عبيد بن عويج بن عديّ ابن كعب أبا حكيم بن مرزوق وكان شريفاً وهاجرت الشفاء إلى المدينة).

(١) الطبعة الأولى الجزء الرابع ص ٣٤١ - ٣٤٢.
(٢) دار صادر بيروت الجزء الثامن ص ٢٦٨.

زينب طبيبة بني أود

(خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات)

هذا ما قاله الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة في كتابه[1]: وقال ابن أبي أصيبعة في المصدر السابق: زينب طبيبة بني أود كانت عارفة بالأعمال الطبية، مشهورة بين العرب... قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني الكبير: أخبرنا محمد بن خلف المرزبان قال: حدثني حماد بن إسحق عن أبيه عن كناسة عن أبيه عن جده قال: أتيت امرأة من بني أود لتكحلني من رمد كان قد أصابني فكحلتني، ثم قالت: اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينك. فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر:

أمخترمي ريب المنون ولم أزر طبيب بني أود على النأي زينبا

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت لا! قالت: فيّ والله قيل، وأنا زينب التي عناها. وأنا طبيبة بني أود. أفتدري من الشاعر؟ قلت لا! قالت: عمك أبو سماك الأسدي.

أما الدكتورة سعاد ماهر فتقول عن زينب في كتابها[2]: (وفي أواخر الدولة الأموية اشتهرت الطبيبة (زينب) من بني (أود) الخبيرة بأمراض وجراحة العيون...).

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت طبعة ١٩٦٥ ـ صفحة ١٨١.

(٢) خبرات في التمريض ـ تأليف هيلين رايت ص ٦.

وقد جاء في كتاب (أعلام النساء) تأليف عمر رضا كحالة[1]: (زينب طبيبة بني أود: كانت عارفة بالأعمال الطبية خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات المشهورة بين العرب...).

أما الموسوعة العربية الميسرة[2] فتقول: (زينب: إمرأة عربية من بني أود. اشتهرت في أواخر عهد الأمويين بحذقها أعمال الطب والجراحة وخبرتها بمداواة أمراض العين).

---

(١) مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م الجزء الثاني ص ٥٧.
(٢) الطبعة الثانية ١٩٧٢ ـ ص ٩٣٩.

أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي

الطبيبة الشاعرة

(شاعرة أديبة... نشأت في حجر أبيها ودرسها الطب ففهمت أغراضه، وعلمت أسبابه وأعراضه...) هذا ما قاله عمر رضا كحالة في كتابه[1].

أما كتاب (الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب) (تأليف مجموعة من الأطباء والكتاب المعاصرين العرب بإشراف الدكتور محمد كامل حسين) ص ٢٣٥، فقد جاء فيه: (وكانت أم الحسن بنت القاضي أحمد بن عبدالله الطنجالي من أهل لَوْشَة بالأندلس تجوِّد القرآن وتشارك في فنون الطب وتنظم الشعر..).

وأم الحسن وبعض المؤرخين يلفظها أم الحُسْن ترعرعت في مدينة بالأندلس تُدعى لَوْشَة (بفتح اللام وتسكين الواو وفتح الشين) وهي قريبة من مدينة قرطبة وتبعد عنها حوالي عشرين فرسخاً وتقع على نهر غرناطة المسمى نهر سنْجَل.

كانت أم الحسن شاعرة وأديبة مرموقة يتوجه إليها ذو الشهرة والمعرفة لمطالعة أخبارها، وكانوا يعجبون بأدبها ونظمها ولسانها.

(١) (أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

وقد قال لسان الدين الخطيب عنها: ثالثة حمدة وولادة، وفاضلة الأدب والمجادة، تقلدت المحاسن من قبل ولادة، وولدت إبكار الأفكار قبل سن الولادة.

كان صوت أم الحسن رخيماً فتقرأ القرآن الكريم بصوت حسن وتجوده..

ومن شعرها في المدح:

إن قيل من الناس رب فضيلة حاز العلا والمجد منه أصيل
فأقول رضوان وحيد زمانه إن الزمان بمثله لبخيل

ومن نظمها في الخط:

الخط ليس له في العلم فائدة وإنما هو تزيين بقرطاس
والدرس سؤلي لا أبغي به بدلاً بقدر علم الفتى يسمو على الناس

وحَمْدَة التي شبهت أم الحسن بها هي (حمدة بنت زياد بن عبدالله العوفي: شاعرة من شواعر وادي آش بالأندلس قد تحلت بالأدب الجم وتغزلت مع عفة وصيانة أخلاق، وعلمت النساء في دار المنصور وذاع صيتها وعظمت منزلتها فلقبوها بخنساء المغرب)[1].

أما ولادة التي شبهت بها أم الحسن أيضاً فهي[2]: (ولادة بنت المستكفي بالله الأموي: شاعرة أديبة من شواعر وأديبات الأندلس.. فكانت تناضل الشعراء، وتساجل الأدباء وتفوق البرعاء... فكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعباً بجياد النظم والنثر يعشو أهل الأدب... تزيد بمزية الحسن الفائق... وفيها خلع الوزير ابن زيدون عذاره وهام فيها

(١) عن كتاب أعلام النساء تأليف عمر رضا كحالة ص ٢٩٢.
(٢) كما جاء في المصدر السابق ص ٢٨٧ - ٢٩٠

كل هيام فقال فيها القصائد الطنانة...).

ولقد جاء في كتاب (خبرات في التمريض بقلم هيلين رايت) نقلته للعربية الدكتورة سعاد ماهر. جاء في ص ٧: (... إن أم الحسن بنت القاضي أحمد بن عبدالله بن عبد المنعم أبي جعفر الطنجالي من أهل لوشه بالأندلس، كانت تجود القرآن، وتشارك في فنون من الطب وأفراد مسائل الطب، وتنظم الشعر...).

طبيبات بَني زَهر الأندلُسيّات

زهر أسرة أندلسية، شريفة عريقة ذات مجد وشهرة عظيمة في العلوم الطبية، وبنوها متبحرون بشتى العلوم كالفقه والأدب واللغة والحديث وخصوصاً العلوم الطبية سواء كانوا نساء أو رجالاً.

ومن طبيباتها النساء النابغات الشهيرات شقيقة الحفيد أبو بكر بن زهر، الطبيب الشهير الملقب بالحفيد وهو أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء ابن زهر. وكذلك ابنة شقيقته تلك، وابنته التي يدعوها البعض بالحفيدة بنت الحفيد وابنتها وجميعهن كن ماهرات في صناعة الطب والمداواة ولهن خبرات ممتازة فيما يتعلق بالأمراض النسوية والولادة.

توطدت هذه الأسرة العريقة بالطب في مدينة إشبيلية في الأندلس واشتهر رجالها ونساؤها بصناعة الطب في الفترة الواقعة بين القرن الحادي عشر والثالث عشر الميلادي.

وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (خبرات في التمريض بقلم هيلين رايت)(1): (... إن اخت الحفيد أبي بكر ابن زهر وبنتها كانتا عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة فيما يتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان لنساء المنصور أبي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ولا يقبل

(١) والذي نقلته للعربية الدكتوره سعاد ماهر جاء في ص ٧.

للمنصور وأهله ولداً إلا أخت الحفيد أو بنتها لما توفيت).

أما في كتاب (أعلام النساء)[1]: فقد جاء (. . . أخت الحفيد أبي بكر ابن زهر عالمة بصناعة الطب والمداواة ولها خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء. . كانت تدخل على نساء المنصور أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن).

وقد جاء في كتاب أعلام العرب والمسلمين في الطب[2]: (. . . نالت أخت الحفيد وابنته سمعة مرموقة في علاجهما للمرضى وخاصة النساء. يقول أحمد شوكت الشطي في كتابه (تاريخ الطب وآدابه وأعلامه): (كان للحفيد أخت وبنت عالمتان بصناعة الطب والمداواة ولهما خبرة جيدة بأمراض النساء بوجه عام) أما أنور الرفاعي فيذكر في كتابه (الإسلام في حضارته ونظمه) (إن ابنة الحفيد صارت من أشهر الأطباء في عصرها كانت مولدة ماهرة بجانب قدرتها على العلاج العام لسائر أمراض النساء. كما خلفتها ابنتها التي امتهنت الطب. ولذا فقد ذاع صيتها بالولادة وعلاج بعض أمراض النساء المستعصية. . .) وجاء في كتاب (أعلام العرب والمسلمين في الطب) ص (٢٤): (أخت الحفيد بن زهر، وابنتاها اللتان نبغتا في طب أمراض النساء).

وجاء في كتاب (الإسلام في حضارته ونظمه) تأليف أنور الرفاعي[3]: . . . اشتهر بإسم (الحفيد) لأنه إبن إبن زهر ولد في أشبيلية ١١١١م. ومات في مراكش ١١٩٩م وينسب إليه كتاب في أمراض العين وولد لهذا الحفيد ابنة أصبحت طبيبة مولدة ماهرة وخلفتها ابنتها أيضاً في الطب

(١) تأليف عمر رضا كحالة ـ الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ـ مؤسسة الرسالة الجزء الأول صفحة ٢٧٨.

(٢) بقلم الدكتور علي عبدالله الدّفاع ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ ـ ص ١٨٣.

(٣) دار الفكر ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣هـ ص ٦٠٢.

والتوليد. أما إبن الحفيد وأخو الطبيبة المولدة، فيدعى عبدالله بن الحفيد وصار طبيباً ناجحاً في خدمة الموحدين وأصغر ولديه صار طبيباً من بعده ويمثل الجيل السادس للأطباء من أسرة زهـر.

أما ابن أبي أصيبعة المؤرخ الطبيب المشهور فيقول في كتابـه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)[1]: (. . . وكانت مع الحفيد أيضاً بنت أخته. وكانت أخته وابنتها هذه عالمتين بصناعة الطب والمداواة، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان إلى نساء المنصور، ولا يقبل (تتولى قبالة نساء أهله أي توليدهن) للمنصور وأهله ولداً إلا أخت الحفيد أو بنتها لما توفيت أمها. . .).

وهنالك الكثير من رجال آل زهر قد نبغوا في العلوم الطبية وتبحروا في العلوم الفقهية والآداب وعلم اللغة والشعر. ولهم باع طويل في علوم شتى ومنهم لكفاءته قد تولى مناصب وزارية.

ومن أوّل علماء آل زهر العربية هو الفقيه العالم بعلوم الحديث محمد بن مروان بن زهر الآيادي الأشبيلي المتوفى سنة ١٠٣٠م. وكان ابنه طبيباً نطاسياً ويكنى بأبي مروان واسمه عبد الملك بن محمد المتوفى سنة ١٠٧٨م وقد مارس مهنة الطب في تونس بمدينة القيروان وكذلك اشتغل في مصر بصناعة الطب في مدينة القاهرة. ثم رجع بعد ذلك لبلده الأندلس حيث مارس مهنته في مدينة دانية ومنها بعد مدة رحل إلى مدينة أشبيلية وظل فيها يعمل حتى توفي هناك.

ومن أطباء آل زهر المشهورين أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك ابن محمد بن مروان.

والطبيب أبو العلاء هو ابن أبي مروان عبد الملك. وتوفي أبو العلاء

(١) شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا ـ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥: ص ٥٢٤.

سنة ١١٣٠م. وقد نبغ في العلوم الطبية أكثر من والده واشتهر في تشخيص الأمراض ومشهور بالمعرفة والحذاقة. وكما يقول الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة في كتابه ص (٥١٧) (وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب واطلاعه على دقائقها... واشتغل أيضاً بعلم الأدب، وهو حسن التصنيف جيد التأليف... كان مع صغر سنه تصرخ النجابة بذكره، وتخطب المعارف بشكره، ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفهماً، ويلقى الشيوخ مستعلماً والسعد ينهج له مناهج التيسير...).

وقد ألّف أبو العلاء كتباً عديدة منها (كتاب الخواص) و(كتاب الأدوية المفردة)... إلخ.

أما ابن أبو العلاء المعروف في علومه الطبية الباهرة كان من أشهر وأنبغ أطباء أسرة زهر حتى لقد دعي بابن زهر فقط وسماه الغربيون Avenzoar وذلك لشهرته العظيمة بالطب واسمه عبد الملك بن أبي العلاء ولقبه أبو مروان المولود سنة ١٠٩١ والبعض يقول ١٠٩٤ وتوفي سنة ١١٦٢.

لقد كان أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء ينتقد أساطين الطب لمعرفته ووثوقه بعلمه فلقد انتقد الفيلسوف الطبيب والرئيس الشيخ ابن سينا لأنه خلط الفلسفة بالطب وكان أبو مروان يرى أن الطب شيء والفلسفة شيء آخر ولا يجوز خلطهما. لذلك حصر أبو مروان عبد الملك عمله بالعلوم الطبّية فقط ومن أشهر كتبه كتاب (التيسير في المداواة والتدبير) الذي أهداه لصديقه الحميم ابن رشد. وقد كان هذا الكتاب خالياً من الأبحاث الفلسفية فكان واضحاً بكتاباته دقيقاً بتشخيصه للأمراض وخصوصاً التهاب غشاء القلب وأعراض السرطان.

وقد نبغ بالطب أيضاً من أسرة زهر الطبيب الحفيد أبو بكر بن زهر وهو ابن أبو مروان بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر الذي ولد في أشبيلية سنة

١١١١م وتوفي سنة ١١٩٩ في مراكش.

لقد كان أبو بكر محمد الملقب بالحفيد طبيباً نابغاً وأديباً عبقرياً وحكيماً فذاً ولغوياً ممتازاً ويقال إنه لا يوجد في زمانه أعلم منه باللغة. ولقد حفظ القرآن وقد (أكمل صناعة الطب والأدب وعانى عمل الشعر وأجاد فيه... وهو الوزير الحكيم الأديب الحسيب.. وكان ملازماً للأمور الشرعية متين الدين... ولم يكن في زمانه أعلم منه في صناعة الطب[1]. وألف أبو بكر كتاب (الترياق الخمسيني) وكتباً غيره.

وولدت للحفيد ابن زهر ابنة أصبحت طبيبة مولدة ماهرة وكذلك أصبحت ابنتها من بعدها.

أما ابن الحفيد الذي يدعى أبو محمد عبدالله بن الحفيد فقد أصبح أيضاً طبيباً ناجحاً ولد في إشبيلية سنة ٥٧٧ هـ. وتوفي سنة ٦٠٢ هـ في مدينة سلا ويقول ابن أبي أصيبعة في كتابه[2]: (أبو محمد عبدالله بن الحفيد، كان جيد الفطرة حسن الرأي، جميل الصورة، مفرط الذكاء، محمود الطريقة، محباً للبس الفاخر، وكان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها والتحقيق لمعانيها... وكان الخليفة أبو عبدالله محمد الناصر بن المنصور أبي يعقوب يرى له كثيراً ويحترمه ويعرف مقدار علمه).

وجاء في كتاب (الإسلام في حضارته ونظمه)[3]: (أما ابن الحفيد وأخو الطبيبة المولدة، فيدعى عبدالله بن الحفيد وصار طبيباً ناجحاً في خدمة الموحدين وأصغر ولديه صار طبيباً من بعده ويمثل الجيل السادس للأطباء من أسرة زهر...).

---

(١) ابن أصيبعة ص ٥٢١.

(٢) طبقات الأطباء ص ٥٢٩.

(٣) تأليف أنور الرفاعي ـ دار الفكر ١٩٧٣م ـ ١٣٩٣ هـ ـ ص ٦٠٢.

بنت دهن اللوز الدمشقية

كانت بنت دهن اللوز من الطبيبات الماهرات عالمة بالطب ولا غلو في ذلك فقد كانت والدتها دهن اللوز من كبرى عالمات دمشق وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب أعلام النساء[1]: (.. دهن اللوز: من شيخات وعالمات دمشق. توفيت بها في ربيع الآخر سنة ٦١٤هـ) (الذيل عن الروضتين).

وجاء في كتاب الإسلام في حضارته ونظمه[2]: (... فهناك كثير من النساء مارسن صناعة الطب في صدر الإسلام ومنهن ... اخت الحفيد بن زهر وابنتيها... وزينب الشامية طبيبة نساء خلفاء بني أمية وبنت دهين اللوز الدمشقية...).

(١) ج١/ ص ٤٢٠ تأليف عمر رضا كحالة ـ الطبعة الرابعة.
(٢) ص ٥٩٨ تأليف أنور الرفاعي ـ دار الفكر ـ ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

بنت شهاب الدين أبي الصائغ

(رئيسة الأطباء بدار الشفاء المنصوري بالقاهرة)

لم يخلف رئيس الأطباء بدار الشفاء المنصوري في القاهرة الطبيب الشهير أحمد بن سراج الدين الملقب بشهاب الدين، إلا بنتاً تولت من بعد وفاته مكانه مشيخة الطب. وأصبحت في دار الشفاء المنصوري في القاهرة يشار لها بالبنان، ولها مكانة عظيمة بالطب وعلومه. وكانت من البارعات في ممارسة مهنة الطب وبهذا الصدد فقد جاء في كتاب (تاريخ البيمارستانات في الإسلام[1]: (. . . تخطى الاهتمام بالطب الرجال إلى النساء، فكان منهن طبيبات بارعات، بل كان منهن من تولت مشيخة الطب في حاضرة من أعظم حواضر الإسلام. . .). ويستطرد ويقول المصدر السابق[2] نقلاً عن خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: (شهاب الدين ابن الصائغ وهو أحمد بن سراج الدين الملقب شهاب الدين، مات عن مشيخة الطب بدار الشفاء المنصوري ورياسة الأطباء، وكانت ولادته سنة ٩٤٥هـ وتوفي سنة ١٠٣٦هـ ولم يخلف إلا بنتاً تولت مكانه مشيخة الطب. . .).

---

(١) ص هـ تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ـ مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي بدمشق ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م.

(٢) ص ١٦٤.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ الأحاديث النبوية الشريفة.
٣ ـ الحاوي في الطب تأليف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبعة الأولى ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ـ الهند ـ ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.
٤ ـ القانون في الطب تأليف الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا ـ دار صادر.
٥ ـ التصريف لمن عجز عن التأليف بقلم أبو القاسم بن عباس الزهراوي ـ ميكروفلم ـ مكتبة الجامعة الأردنية تحت رقم ٨١/٨٠.
٦ ـ مقدمة في التاريخ تأليف عبد الرحمن بن خلدون.
٧ ـ الطب العربي تأليف الأستاذ الدكتور أمين أسعد خير الله أستاذ الجراحة في الجامعة الأمريكية وترجمه للعربية الدكتور مصطفى أبو عز الدين.
٨ ـ السلوك المهني للأطباء تأليف الحكيم راجي عباس التكريتي ـ دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ـ الطبعة الثانية.
٩ ـ الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب تأليف مجموعة من الأطباء والكتاب المعاصرين العرب بإشراف الدكتور محمد كامل حسين.
١٠ ـ أعلام النساء بقلم الأستاذ عمر رضا كحالة.
١١ ـ الأمراض النسوية في التاريخ القديم وأخبارها في العراق الحديث تأليف الأستاذ الدكتور كمال السامرائي.
١٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة تأليف ابن حجر العسقلاني ـ دار صادر ـ الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

١٣ ـ الأعلام تأليف خير الدين الزركلي.
١٤ ـ أعلام العرب والمسلمين في الطب بقلم الدكتور علي عبدالله الدّفاع ـ مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٥ ـ غذاؤك حياتك تأليف الدكتور محمد علي الحاج ـ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ـ الطبعة الثانية.
١٦ ـ منافع الأغذية ودفع مضارها تأليف أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.
١٧ ـ الطبقات لابن سعد ـ دار صادر بيروت.
١٨ ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ دار مكتبة الحياة ـ تأليف ابن أبي أصيبعة.
١٩ ـ خبرات في التمريض ـ تأليف هيلين رايت ـ ترجمة الدكتوره سعاد ماهر.
٢٠ ـ تاريخ الطب وآدابه وأعلامه تأليف الأستاذ الدكتور أحمد شوكت الشطي.
٢١ ـ العلوم عند العرب ـ تأليف الأستاذ قدري طوقان.
٢٢ ـ شمس العرب تسطع على الغرب تأليف الدكتورة زيغريد هونكه ط ١٩٦٩.
٢٣ ـ ابن النفيس: تأليف الدكتور بول غليونجي ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢٤ ـ العلوم في الإسلام ـ دار الجنوب للنشر ـ تونس، تأليف سيد حسين نصر.
٢٥ ـ معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية ـ دار السلام للنشر والتوزيع تأليف عبدالله علوان.
٢٦ ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ الطبعة الثانية.
٢٧ ـ السيرة النبوية لابن هشام.
٢٨ ـ الإسلام في حضارته ونظمه بقلم الأستاذ أنور الرفاعي.
٢٩ ـ منتقى النقول في سيرة أعظم رسول تأليف الأستاذ حامد محمود بن محمد بن منصور ليمور.
٣٠ ـ المرأة في التصور الإسلامي ـ الطبعة الثالثة ـ بقلم الأستاذ عبد المتعال محمد الجبري.
٣١ ـ تفسير الجلالين للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد والشيخ جلال الدين السيوطي.
٣٢ ـ المنجد في الأعلام ـ دار المشرق ـ بيروت الطبعة الثانية.

٣٣ ـ تاريخ البيمارستانات في الإسلام ـ تأليف الدكتور أحمد عيس بك ـ المطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م.
٣٤ ـ المورد ـ الطبعة الحادية عشر.
٣٥ ـ The oxford Book of Food plants
٣٦ ـ AGuide in Colour to Kitchen Herbs And Spices
٣٧ ـ القاموس المحيط ـ الطبعة الثانية للفيروز آبادي.
٣٨ ـ رواد الطب ـ تأليف كاترين. ب. شيبن ترجمه للعربية الدكتور م. عيسى ١٩٦٢م.
٣٩ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية.
٤٠ ـ لسان العرب لابن منظور.
٤١ ـ تاريخ الإسلام تأليف الدكتور حسن إبراهيم حسن.
٤٢ ـ أبو القاسم الزهراوي تأليف الدكتور عبد العظيم الديب.
٤٣ ـ فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب للأستاذ الشيخ علوي السيد عباس.
٤٤ ـ الترغيب والترهيب انتقاء شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
٤٥ ـ المختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف اختيار وتعليق عبد البديع صقر.

الفهـــرس

صدر للمؤلف

١ ـ السواك والعناية بالأسنان

٢ ـ صحة الفم والأسنان

٣ ـ ديوان مناجاة ـ شعر ـ

٤ ـ ديوان تأملات ـ شعر ـ

٥ ـ الطب ورائداته المسلمات

تحت الطبع

١ ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ـ الرطب والنخلة.

٢ ـ فضائل القدس ومعالمها.

٣ ـ ديوان حبيبتي القدس ـ شعر ـ

٤ ـ ديوان حبيبتي فلسطين ـ شعر ـ

٥ ـ ديوان السيرة النبوية الشريفة ـ شعر ـ الجزء الأول

تحت الإعداد

١ ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم

٢ ـ الإعجاز الطبي في السنة النبوية الشريفة

٣ ـ نظافة الفم والأسنان

٤ ـ روّاد الطب عند المسلمين والعرب

٥ ـ المرضات والمستشفيات الإسلامية

٦ ـ نشأة الطب وآدابه

رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
١٩٨٥/٢/٥٥

مكتبة المنار - الزرقاء
شارع الفاروق - بجانب جمعية المركز الإسلامي
ت ٩٨٣٦٥٩ - ص.ب ٨٤٢